السنة العشرون　　　العدد ٦　　　حزيران　　　١٩٢٢

المشرق

العيد المئوي الثالث
لانشاء
مجمع انتشار الايمان

نبذة تاريخيَّة اجتماعيَّة للاب لويس شيخو اليسوعي

« اذهبوا وتلمذوا كلَّ الامم اكرزوا بالانجيل للخليقة كلها » هي الكلمة الالهيَّة التي فاه بها ابن الله قبل صعودهِ الى السماء فعملت من العجائب في تقرُّب الامم ومؤاخاة الشعوب ما لم تفعلهُ الجنود المجنَّدة وفشل عنهُ الفراعنة والقياصرة والاسكندر. تلك البذرة السماويَّة القاها المسيح بيد كنيستهِ في الارض وببركتهِ ما لبثت ان ذكت

ونمت واضحت دوحةً عظيمة تُظلّلَ باغصانها اربعة اطراف المعمور فهي هي التي نقضت ما كان من الحواجز بين الامم وألّفت القلوب المتنافرة فصار «لجمهور المؤمنين قلبٌ واحد ونفس واحدة» (اعمال ٤: ٣٢) «ليس بينهم يهوديّ ولا يونانيّ ولاختان ولا قَلَف ولا اعجميّ ولا اسكوتي ولا عبدٌ ولا حُرّ بل المسيح كان كلّ شيءٍ وفي الجميع» (كولسي ٣: ١١)

لعمري لو تتبّعنا سلسلة الاجيال وتفقّدنا مفاعيل تلك الكلمة لرأيناها كما قال الرسول (عبر ٤: ١٢) «حيّةً عاملةً امضى من كلّ سيفٍ ذي حدّين نافذةً حتّى سويداء القلب». كانت الكنيسة الرومانيّة في مَهدها ورُسُل المسيح في قيد الحياة وترى بولس الرسول يشكر الله على «انّ ايمان الرومانيين يُبشَّر به في العالم كلّه» (رومية ١: ٨). لم يمرّ على الكنيسة ثلاثة اجيال الّا وتحطّمت امامها اصنام الامم وزانت بصليب المسيح تيجان الملوك. قامت في وجهها البدع فكسرت شوكتها. تقاطرت اليها همَج البرابرة من كلّ أوبٍ وصَقع فأحنت رؤوسهم تحت نير المسيح. خرج رُسُلها الى الاقطار السحيقة فحوّلوا ذئابها الى حملانٍ وأدخلوها حظيرة الراعي الصالح في تلك القرون التي دعاها البعض بقرون الظلمة والجهل وكان الاحرى ان تُدعى اجيال البعث والنشور. ثمّ قامت في خدمة الكنيسة تلك الرهبانيات المشبعة بروح المسيح من بندكتين وفرنسيسين ودومنيكان وكرمليين ويسوعيين «ففي كلّ الارض خرج منطقهم وفي اقاصي المسكونة ذاع كلامهم» (رومية ١٠: ١٨) فكانوا اذا انتدبهم نائب المسيح لمهمّةٍ ما تسارعوا اليه في سرعة البَرق قائلين: ها نحن امامك وطوع بنانك ما لك الّا ان تأمر فحياتنا ودماؤنا موقوفة لخدمة الكنيسة ومجد الله. فيعمرون بقولهِ شبكتهم فيصطادون البشرَ للخلاص (متّى ٤: ١٩)

انشاء مجمع انتشار الايمان

تلك كانت حال الكنيسة في تبشير الايمان الى اوائل القرن السابع عشر لم تتّخذ لها نظاماً رسمياً لتدبير رسالاتها الاجنبيّة. الّا انّ في ذلك العصر كان اتّسع نطاق الرسالات بعد ان انفتحت للكنيسة بلاد مجهولة وظهر لها عالم جديد توفّق الى اكتشافهِ كولمبوس احد ابنائها المخلصين. فتيسّرت لها سُبُل البحار وأميطت عن اليابان

والصين وجزائر الفيليبيّن الاستار الحاجبة لها مع توفّر المرسلين . فلم ترَ الكنيسة بُدًّا من اقامة مجمع خاصّ في لمّ المدائن تحت انظار الاحبار الرومانيين تُناط بهِ كلّ امور الارساليات الاجنبيّة ويرجع اليهِ المرسلون في شؤونهم لتُعطى كلُّ فئةٍ منهم قسماً من كَرْم ربّ البيت لتفلحهُ وتستثمرهُ للحياة الابديّة

وقد شغل هذا الامر فكرَ الاحبار الرومانيين منذ اواخر القرن السادس عشر فانّ البابا غريغوريوس الثالث عشر ثمَّ اقليمنضوس الثامن وبولس الخامس وجّهوا انظارهم لتحقيق هذه الغاية وسعوا لها بعض المساعي التي لم يسمح لهم الزمان بتقريرها وتحديدها . الى ان جلس على كرسي الخلافة البطرسيّة البابا غريغوريوس الخامس عشر فعزم منذ بدء رئاستهِ على تحقيق آمال اسلافهِ . فعيَّن لذلك احد عشر كردينالًا وبعض الكهنة كان من جملتهم الاب درمنيك الرئيس العام على رهبانيّة الكرمليين لسعيه المتواتر لدى الكرسي الرسوليّ بتنظيم مجمعٍ كهذا

وكان اوَّل اجتماع عقدهُ آباء المجمع المذكور الذي عُرف منذ ذاك الحين بمجمع انتشار الايمان او البروبغندة (Congregatio de Propaganda Fide) وقع في ١٤ كانون الثاني من السنة ١٦٢٢ فاتّفقوا على وجوب وَضع الرسالات الاجنبيّة كلها تحت نظارة وتدبير المجمع المومأ اليهِ وخصّوا يومين في الشهر للبحث في امور الرسالات وانشائها وتدبيرها وحاجاتها ويوماً ثالثاً يُطلعون فيهِ الحبر الاعظم على مفاوضاتهم وتقاريرهم ليصدّق قداستهُ على ما يراهُ منها موافقاً . وفي اليوم التالي اي ١٥ ك ٢ وجّه المجمع الى الاساقفة وكافّة رؤساء الرسالات منشوراً يفيدهم ما قرّرهُ الكرسي الرسوليّ من ذلك لتكون مخابراتهم مع المجمع رأساً . فسُرَّ المرسلون بهذا التدبير الذي ذلّل امامهم عدّة مصاعب كان يعتاصُ عليهم حلّها

ومضى على ذلك خمسة اشهر ريثما تمَّ انتظام المجمع الجديد ووُضعت لهُ القوانين اللائمة وتعيَّن لهُ نادٍ كبير وكتبة وعمّال وماليّة لمعاش اصحابهِ ولمساعدة الرسالات المنشأة او المنويّ انشاؤها . فنشر حينئذٍ البابا غريغوريوس براءةً رسوليّة اولها Inscrutabili اثبت فيها المجمع المذكور وشرح كلّ ما يختصّ بهِ من تركيب ونظام وادارة امور ونعم . وعقدَ الأمل على انَّ هذا المشروع الجليل يبثّ في الرسالات الكاثوليكيّة حياةً جديدة وينهض بها الى اوج الفلاح

وكان اوّل ما رأى المجمع حاجةً مائسةً اليهِ دَرْس المرسلين اللغات الأمم التي يُرسَلون اليها ليبشّروها بالايمان اذ لولاها لا يستطيعون ان يتباحثوا في امور الله ويشرحوا لغير المؤمنين اصول الدين المسيحي. وكان البابا بولس الخامس سبق ووجّه في ذلك براءةً الى رؤساء الرهبانيّات المتكفّلة على اذاعة الايمان بين الشعوب الاجنبيّة فجدّد المجمع المقدّس هذه الاوامر وألحّ في ١٦ ت ١٦٢٣ في تنفيذها وخصّ بين تلك اللغات العبرانيّة والكلدانيّة والعربيّة كما كان تقدَّم على تدريسها في الكلّيّات الاوربيّة مجمعُ فيَنَّة المسكوني سنة ١٣١١

ولم تمرّ على مجمع انتشار الايمان سنون قليلة حتّى اتّسعت دائرة اعماله وتواردت اليه الوف الكتابات من كلّ الاصقاع وعُرضت عليه المشاكل المختلفة وأُنيطت بهِ اجلّ الامور واعظمها شأناً. فاتسع عليه النعم البابا غريغوريوس مُنشئهُ ثمّ جرى على مثاله خلفاؤهُ اوربانوس الثامن ثمّ اسكندر السابع الى الاحبار القريبين من عهدنا حتّى اصبح في مقدّمة المجامع الرومانيّة لوفرة مآثره وخدمهِ المتعدّدة التي شرّف بها الكنيسة الكاثوليكيّة في كلّ انحاء المعمور

وممّا اهتمّ لهُ الاحبار توفير ماليّة المجمع لكثرة ما يحتاج اليهِ من النفقات في انشاء الرسالات ومعاشات مرسليها ومساعدتهم في ابنيتهم من كنائس ومدارس ومستشفيات وملاجئ وميانم. فأنهم سبقوا الجميع بكرمهم وامدّوا مجمع انتشار الايمان بالمال الخاص وفرضوا على الكرادلة والمنصّبين في الدولة البابويّة بمساعدات ماليّة يؤدّونها سنوياً. وما لبث الملوك والشرفاء واغنياء الكاثوليك ان اقتفوا بمثالهم واسرعوا الى مشاركة المرسلين في اعمالهم ونشر العمران المسيحي بين الامم المتسكّعة في ظلمات الوثنيّة بما يجزون عليهم من الهبات الماليّة الطائلة

وقد أقيم في المجمع ديوان خاصّ لنظارة الماليّة وتخصيص كلّ رسالةٍ بنصيبها من هذه النفقات. وهي مع وفرتها لم تقوَ على سدّ قسم صغير من حاجات المرسلين. وقد بيّنّا في عدد سابق كيف اوحى الله الى فتاة افرنسيّة قبل مئة سنة بطريقة جديدة لمساعدة المرسلين فأنشئت في ليون شركة الرسالات الكاثوليكيّة التي يبلغ حاضراً مجموع حسناتها عشرين مليوناً من الفرنكات

وكان معظم اهتمام مجمع انتشار الايمان ان يختار للرسالات الاجنبيّة رجالاً ذوي

غيرة وتُقى يكونون حيثما حلّوا كنور العالم وملح الارض اللذين ذكرهما السيّد المسيح فيجذبون الشعوب الى الدين الحقّ بأمثالهم اكثر منهم بأقوالهم . وكثيراً ما حُظر عليهم الاختلاط بأمور السياسة او السعي بتنفيذ سلطة دولهم وشؤونها الزمنيّة ليقصروا همّهم على نشر الدين بكل فطنة وكلّ تؤدة ويحتملوا بصبرٍ ما يلقونهُ في سبيل الله من النكبات بل ضروب العذابات والموت

ولو تتبّعنا تاريخ هذه الرسالات في الثلثة القرون الاخيرة لقضينا العجب ممّا اتاهُ رجالها من الاعمال الاثيرة لخير الشعوب وترقّيها الديني والادبيّ والاجتماعيّ . ولكل رسالة منها تاريخ مطوّل لمشاريعها وجهادها ونجاحها مع إقرار الوطنيين من كلّ البلاد بسوّ فضل مبشّريهم . فكم افتتحوا من دول فتحاً سلمياً وكم حطّموا من اصنام وازالوا من اوهام وكم قاسوا من مشقّات وأُثقلوا بالاغلال وكم ذاق منهم مرارة الموت بألوانهِ . وكان كلامهم قد نفذ في قلوب المتنصّرين فبلغ بهم ايمانهم الى ان يشاركوا معلّميهم في ضنكهم وبلائهم واستشهادهم . وكان كلّ ذلك بفضل مجمع انتشار الايمان الذي فتح تلك الرسالات وآزرها بعنايتهِ دون ملَل ما عدا تلك الحقبة المشئومة التي جمع فيها الجحيم قوتهُ ليزحف بخيلهِ ورجلهِ على الكنيسة جمعاء مؤمّلاً خرابها فأُصيبت الرسالات الكاثوليكيّة في ختام القرن الثامن عشر بضربة أليمة كادت تقضي عليها . الّا انها كانت سحابة صيف ما لبث الربّ ان كشفها واخمد تلك الانواء واعاد للكنيسة عزّها ورونقها واستأنف المجمع المقدّس عملهُ حتّى بلغت الرسالات الكاثوليكيّة بعد ردحٍ من الدهر مبلغاً لم تعرفهُ القرون السابقة

ولو شئنا ان نُعدّد فرداً فرداً الرسالات التي يتولّى تدبيرها المجمع المقدّس حاضراً لاتّسع بنا الكلام . وقد ذكرنا في عددٍ سابق (ص ٤٦٠—٤٦٢) لمحةً من ترقّي الدين الكاثوليكي في القرن الاخير ولم نستوفِ ذاك الاحصاء . فانّ لمجمع انتشار الايمان اليوم خمسمائة مركز ينيف تراها بالاجمال زاهرة نامية بين هراطقة اوربة ومشركي آسية وهمج افريقية واميركة واوقيانية ولهُ في كلّ سنة مجموع كبير يُعدّد فيهِ تلك المراكز واعمالها ونجاحها يتصفّحهُ الكاثوليكي بكل افتخار

ولا ننسى ما لنا من فضل مجمع البروبغندة على شرقنا العزيز فان قسماً كبيراً من رسالاتهِ اللاتينيّة في سوريّة وفلسطين والاناضول واليونان والعراق والعجم واليمن

منوطة بمجلةٍ. واليهِ يرجع قصّادنا الرسوليّون. وكذلك امور الطوائف الشرقيّة بقيت تحت تدبيرهِ الى ان افرد لها الحبر الاعظم بيوس التاسع سنة ١٨٦٢ فرعاً خصوصيّاً في المجمع المذكور يُعنى بشؤونها. وهو الفرع الذي حوّله الثلث الرحمات البابا بندكتوس الخامس عشر الى مجمع قائم بذاتهِ دعاهُ مجمع الكنيسة الشرقيّة تلطّف فاقام نفسهُ عليهِ رئيساً اعلى

وقد سُررنا ايَّ سرور اذ رأينا غبطة بطريرك الطائفة المارونيّة مار الياس بطرس الحويّك الكلي الطوبى وجّه في ٨ آذار من السنة الجارية منشوراً لابناء طائفتهِ الكريمة يدعوهم الى الاشتراك بحفلات اليوبيل المئوي الثالث لانشاء مجمع انتشار الايمان التي تُقام في رومية ثلاثة ايّام قبل عيد العنصرة مذكّراً لهم «ما نالهُ الموارنة من الايادي البيضاء والمساعدات المادّية والادبيّة من فضل المجمع المذكور حتى انهُ يجوز القول «بأنَّ تاريخهم» مرتبط بنوع ما بتاريخ المجمع نفسه وكلّ ما عندهم من مدنيَّةٍ ورقي ومن مجد وفخر في العالمَين الديني والادبي انّما معظم الفضل فيهِ عائد الى مجمع نشر الايمان المقدَّس»

فلعمري هذا قول جديرٌ بالاعتبار ويصحّ ليس فقط عن الطائفة المارونيّة بل عن الطوائف الشرقيّة كلّها دون استثناء. فانّها كلها مَدينة لمجمع نشر الايمان من وجوه شتّى كما يعلم اربابها. ولهذا قد دعا الحبر الاعظم الطيب الذكر بندكتوس الخامس عشر كل العالم الكاثوليكي الى اقامة فرائض دينيَّة على نيَّة ذاك المجمع في الثلاثة الأيّام الاولى من حزيران ونبّه عليهِ نيافة القاصد الرسولي في الشرق في منشوره الذي اصدرهُ في بدء الصوم الاربعيني

مدرسة انتشار الايمان

لم يقصر الاحبار الرومانيّون نظرهم على انشاء مجمع يتولّى تدبير الرسالات المختصّة بنشر الايمان. وانّما ارادوا ايضاً ان يهيّئوا لتلك الرسالات الاجنبيّة رجالاً ذوي مقدرة وعلم واسع ونفوذ. ولعلمهم بصحّة المَثَل انَّ الحديد بالحديد يُفلح لم يروا وسيلةً احقّ بتحقيق امانيهم ونشر الايمان في نواحي الارض من أن يقيموا مدرسة كبيرة يتخرّج فيها في ظلّ الكرسي الرسولي وتحت نظارتهِ نخبةٌ من الشبّان

يستدعونهم من اوطانهم السحيقة ويثقفونهم بكل الآداب الدينيّة والرسوليّة وفقاً لدعوتهم حتى اذا انتهوا من دروسهم يعودون الى بلادهم فيذرون بين مواطنيهم معتقدات الدين المسيحيّ

فهذه الفكرة السامية والغاية الجليلة قد اخرجها الى طور العمل البابا اوربانوس الثامن خلَف غريغوريوس الخامس عشر مع ما كان في تحقيقها في ذلك الزمان من المشاكل والصعوبات . وكان مهَّد له الطريق الى هذا المشروع رجلٌ سامي الفضل اسبانيّ الاصل جوان باطشتا ڤيڤس(Mgr G.-B. Vivès)الذي كان تقلّب في وطنه ثم في رومية في عدَّة وظائف كنسيَّة وشعر في قلبه بغيرة ملتهبة لدعوة غير المؤمنين الى دين المسيح فطلب لتحقيق نيَّته عدّة وسائط وصرف جانباً من ماله الى أن استقرَّ فكرهُ على انشاء مدرسةٍ كبرى في رومية يترشّح فيها شبّان من البلاد المنويّ تبشيرها لهذه الدعوة السامية واقتنى في عاصمة الكثلكة قصراً قديماً لسكنى اولئك الاحداث حيث جمَع نفراً منهم

وكان البابا اوربانوس الثامن جلس في تلك الاثناء على السدّة البطرسيّة فعرف الكاهن ڤيڤس وقدَّر صفاته الفريدة وقداسة حياته . فتَل يوماً عند اقدام الحبر الجديد وأطلعهُ على ما ألهمهُ الله لنشر الايمان المقدَّس وقدّم القصر الذي اقتناهُ للكرسيّ الرسوليّ مع عدَّة املاك كافية لمعاش ١٢ شاباً وطلب ان يكون الكل في عهدته تحت نظارة مجمع البروبغندة ويخصَّص لتخريج مرسَلين من كافة الامم الاجنبيّة يقومون بعد دروسهم الكهنوتيّة بأعباء الرسالة في اوطانهم . وكان ذلك في غرّة حزيران سنة ١٦٢٦

رأى الحبر الاعظم في هذه الموهبة اصبع الله وشكر المتبرّع بها ثمّ اخذ يهتمّ لهذا الامر مع كرادلة مجمع انتشار الايمان فأثنوا على الكاهن ڤيڤس ووجدوا في عملهِ وسيلةً جديدة لتنظيم الرسالات الاجنبية وترقيتها فقضوا مع إمام الاحبار اشهراً في ترتيب المدرسة ووضع قوانينها وتذليل كلّ العقبات المعترضة لها وكان البابا اوربانوس في مقدّمة الذين يسعون في انشاء هذا المشروع يستنفد له كلّ قواهُ الى ان تمّ لهم على ما يرغبونهُ

فكان تدشين تلك المدرسة التي عُرفت بالمدرسة الاوربانيّة في غرّة آب من

السنة ١٦٢٧ حيث اصدر إمام الاحبار براءتهُ التي بدؤها «Immortalis Dei Filius» ضمَّنها الغاية من انشاء تلك المدرسة الرسوليَّة وأحاط بكل نظامها وترتيبها وجعل رئيسها الاوَّل المنسنيور ڤيڤس مُطرئاً غيرتهُ وفضائله السامية

كان لانشاء مدرسة البروبغندة أحسن وقع في قلوب الكاثوليك إجمالاً والمرسلين خصوصاً. فاخذوا يأتون لها من يرونهم اهلاً لهذه المهنة . وكان البابا اوربانوس حيناً بعد آخر يدرّ عليها الانعامات الجديدة ويتعهَّدها بالهبات الواسعة ويتفقَّد كل امورها الى سنة وفاته في ٢٩ تموز ١٦٤٤ . وهكذا فعل بعدهُ الاحبار الرومانيُّون خلفاؤهُ فاضافوا الى ذلك القصر املاكاً جديدة وشيَّدوا لهُ كنيسة بديعة على اسم ملوك المجوس فصار عيدهم موسماً يحتفلون بهِ احتفالاً عظيماً. واذ كان عدد التلامذة يزداد سنةً بعد سنة يقصدون المدرسة من كلّ فجّ وصقع اصبح بعد زمن قليل ذلك القصر مع رحبهِ حرجاً ضيقاً . وكان البابا اوربانوس اقام على المدرسة كمحامٍ لها اخاهُ الكردينال انطون بربريني فلم يرَ بُدًّا من ترميمها وتوسيع ارجائها ثمَّ دعا اليها تلامذةً من الكُرج والعجم والسريان والارمن والاقباط والهنود والحبش حتى تضاعف عددهم وجرى الاحبار الرومانيُّون على مثال البابا اوربانوس فخصُّوا مدرسة البروبغندة بكل عنايتهم . واختاروا لتعليم تلامذتها اساتذة ماهرين يلقّنونهم العلوم الدينيَّة وعلم الفلسفة واللاهوت والحقّ القانونيّ والتاريخ الكنسيّ والخطابة بل اختاروا لهم معلمين لدرس لغاتهم كالعبرانيَّة والسريانيَّة والعربيَّة والارمنيَّة والبلغاريَّة والقبطيَّة والحبشيَّة والكرديَّة والفارسيَّة اتخذوا بعضهم من تلامذة المدرسة المارونيَّة التي كانت أُنشئت في رومية قبل المدرسة الاوربانيَّة . فهناك علَّم اللغات الساميَّة ابرهيم الحاقلاني ومرهج النيروني ويوسف لويس السمعاني، وظلَّت المدرسة راقية في معارج الفلاح الى ان دخل الفرنسويُّون رومة في عهد نابوليون الاوَّل فأصيبت كغيرها بمصاب عظيم وأُبطلت عدَّة سنين الى ان عاد بيوس السابع ظافراً الى عاصمتهِ سنة ١٨١٤ فأحيا الرهبانيَّة اليسوعيَّة ثمَّ اقام مدرسة انتشار الايمان من كبوتها فسلَّم لذلك تدبيرها الى الآباء اليسوعيين وتقدَّم الى تلامذتها ان يدرسوا في مدرستهم الرومانيَّة ريثما تتمّ للمدرسة الاوربانيَّة أهبتها . ثم ما لبث ان عادت الى رونقها القديم في عهد البابا غريغوريوس السادس عشر وبيوس التاسع حتى اناف تلامذتها على المئة وهم

اليوم ١١٢ من نحو ٦٠ الى ٧٠ دولة او قطرًا يرئسهم السيد پاولو جيُوبه (M^gr Paolo Giobe) بكل حكمة

وقد ميَّز نوّاب المسيح شرقنا فخصُّوهُ بفضلهم وما اكتفوا بان يدخلوا في مدرسة انتشار الايمان اولادًا من اوطاننا الشرقيَّة ومن جميع الطوائف بل انشأوا في رومية مدارس خاصَّة افردوها لهذه الطوائف كالمدرسة المارونيَّة المتحدثة والمدرسة اليونانيَّة والمدرسة الارمنيَّة والمدرسة الحبشيَّة ومعظم طلبة هذه المدارس يذهبون صباحَ مساء الى نوادي البروپغندة فيحضرون دروسها

وكان الواجب علينا لبيان فضل مدرسة انتشار الايمان ان نعدّد أماثل الرجال الذين خرجوا منها فشرَّفوا اوطانهم بمآثرهم المتعدّدة · ولكن كيف يمكن تعداد اولئك المشاهير مع وفرتهم وتفرُّقهم في كلّ انحاء المعمور · ولو اقتصرنا فقط على من عرفت بلادنا الشرقيَّة بعظم فضلهم لا تَّسع بنا الكلام · فانَّهُ ليست طائفة الَّا تذكر بالافتخار كثيرًا من ابنائها الذين تخرَّجوا في ذاك الصرح العلميّ الشهير

فللارمن ثلاثة بطاركة اجلاء تثقَّفوا في مدرسة البروپغندة هم البطريرك ثم الكردينال انطون حسُّون والبطريرك اسطفان عزاريان وغبطة البطريرك الحالي بولس ترزيان · وكذلك خرج منها بعد نهاية دروسهم نيف وخمسون مطرانًا او كاهنًا نخصّ منهم بالذكر شهيد ايمانهِ ورسول طائفتهِ في ماردين الطيّب الذكر السيّد ملكون طاز باز المتوفّى في لومان الاستانة سنة ١٧١٦ وقد خلفهُ على كرسي ماردين خمسة اساقفة كلهم تلامذة المدرسة الاوربانيَّة ومنهم من جلس على كراسي رؤساء لساقفة حلب وخربوط وارضروم وطرابزون وموش · ومن افاضل كهنتهم القس انطون قبة الحلبي شهيد محبتهِ في خدمة المطعونين سنة ١٧٦٤ (المشرق ٩ [١٩٠٦] : ٣٦٤)

وكان لليونان ولجميع الطوائف التابعة للطقس البوزنطي في رومية مدرسة خاصَّة أنشئت منذ الجيل السادس عشر ثمَّ تبعتها بعد ذلك مدرسة القديس اثناسيوس تربّى فيها العدد الجم من اكليروس الملكيين · الَّا انَّ كثيرين ايضًا من طائفة الروم الكاثوليك استقوا من مناهل البروپغندة كجرمانوس آدم رئيس اساقفة حلب (+ ١٨٠٩) وامبروسيوس عبده رئيس اساقفة الفرزل وزحله (+ ١٨٧٦) وباسيليوس حجّار مطران حوران (+ ١٩١٦) · ومنهم كهنة علماء افاضل كالخوارنة المخلصيين

يوحنا المجيمي (✝ ١٧٨٥) وعمانوئيل شمّاع (✝ ١٧٩٨) وسابا الكاتب (✝ ١٨٢٧)

ويفتخر السريان بثلاثة من بطاركتهم تلقّنوا العلوم في مدرسة انتشار الايمان اندراوس اخيجان (✝ ١٦٧٧) وقورلس بهنام بنيّ (✝ ١٨٩٧) وغبطة البطريرك الحالي السيّد المفضال افرام الثاني الرحماني. ويتباهون كذلك بستّة من اساقفتهم رضوا في رومية افاويق العلوم اوسعهم شهرةً اسحاق بن جبير (✝ ١٧٢١) واقليميس يوسف داود رئيس اساقفة دمشق (✝ ١٨٩٠) وخلفهُ الحالي السيّد اقليميس ميخائيل بخّاش وديونيسيوس افرام نقّاشة رئيس اساقفة حلب (✝ ١٩٢١) وبعدةُ كهنة ينيف عددهم على الاربعين

وقد اشتهر بين القبط الانبا رفائيل طوخي رئيس اساقفة ارسينوة (مدينة الفيّوم) ممّن تخرّجوا في رومية في القرن الثامن عشر وهو الذي عُني فيها بطبع كتب طائفته في القبطية والعربيّة توفي في نيسان من السنة ١٧٧٢

وكان للكلدان حصّة كبيرة من افضال مدرسة بروبغندة . فيها درس الطيّب الذكر البطريرك الّيا عبو اليونان (✝ ١٨٩٤) وعبد يشوع خيّاط (✝ ١٨٩٩) وزهاء عشرين من الاساقفة جلس خمسةٌ منهم على كرسي سلماس آخرهم رئيس اساقفتها الحالي السيّد بطرس عزيز نزيل مصر حاضرًا . وقد اشتهر منهم السيّد طيموثاوس عطّار رئيس اساقفة ماردين (✝ ١٨٩١) وبطرس برتتار رئيس اساقفة سعرت (✝ ١٨٨٤) وجرجس نتالي رئيس اساقفة آمد (✝ ١٨٦٨) وتوما اودو رئيس اساقفة اورمية (✝ ١٩١٨) ويوسف اودو مطران كركوك (✝ ١٨٩٩) وخلفهُ الحالي تيودور مسيّح . ومطران زاخو الحالي طيموثاوس مندسي هذا ما خلا عددًا عديدًا من الكهنة

كان للموارنة مدرستهم الشهيرة في رومية تحت نظارة الرهبنة اليسوعيّة فلم يدخلوا مدرسة البروبغندة الّا بعد الغاء الرهبنة وسقوط المدرسة لاسيّا في القرن التاسع عشر . ففيها تخرّج بطريركهم الجليل بولس مسعد (✝ ١٨٩٠) وغبطة البطريرك الحالي الكلي الطوبى الياس الحويّك بعد درسهِ مدّةً في غزير . ومنها ايضاً خرج الاساقفة انطون الخازن رئيس اساقفة بعلبك (✝ ١٨٥٨) وبطرس مسعد رئيس اساقفة حماة

(✝ ١٨٨٠) ونعمة الله الدحداح رئيس اساقفة دمشق (✝ ١٨٩٠) مع عدد وافر من الكهنة والرهبان الافاضل

فترى من هذا النظر الوجيز ما يُقتضى من الشكر وعرفان الجميل على طوائفنا الشرقيَّة للمدرسة الاوربانيَّة . وقد جازاها الله بما رأتهُ في تلامذتها من الغيرة والاعمال الرسوليَّة واحتمال النكبات في سبيل الكثلكة فمات كثيرون منهم شهداء ايانهم وغيرتهم خصوصاً في الحرب الكونيَّة الاخيرة فتشرَّفت المدرسة البروپندة بثباتهم وجهادهم حتى الموت كما تشرَّفت سابقاً باستشهاد رسوليها الاوَّلين القديس فيدال السيغمرنجي والطوباوي بتريك بلونكت

مطبعة البروپندة

انَّ لمجمع انتشار الايمان فضلاً آخر استحقَّ فيهِ شكر العالم كلّهِ فضلاً عن الكاثوليك نريد بهِ انشاء تلك المطبعة التي احرزت لها اسماً مخلَّداً لدى كلّ العلماء .

وكان الداعي لفتحها مساعدة المرسلين وتلامذة مدرسة البروپندة الذين يبشّرون بالايمان في الاقطار الاجنبية اذ طلبوا من المجمع الكتب اللازمة لتثقيف الناشئة في تلك البلاد فشعر رؤساء المجمع ما يحول دون هذا المشروع من المصاعب الجمَّة لكنَّ ذلك لم يثبط عزيمتهم حبّاً بخلاص النفوس وخدمةً للعلم . فوكَّل الاحبار الرومانيُّون امر هذه المطبعة الى الكردينال فرنسيس إنغولي الذي اتَّخذ لهُ مساعداً رجلاً ماهراً بحفر الحروف اسمهُ فرنسيس كاپولين فاشتغل بذلك عدَّة سنين فنجح بعملهِ ايَّ نجاح . وتبعهُ في العمل غيرهُ من المَلَة ذوي الحذق وحسن الذوق منهم اكليريكيُّون ومنهم عالميُّون اشتهر بينهم بعد مدَّة اليونانيّ لاون ألاسيوس (Léon Allatius) . ثمَّ جهَّزوا المطبعة باحسن الادوات فما لبثت بعد زمن قليل أن أتت بأثمارها الطيّبة

وكان باكورة مطبعة البروپندة بالعربيَّة تفسير التعليم المسيحي الواسع للكردينال بلرمينوس اليسوعي عرَّبهُ الخوري حنَّا الحصروني من تلامذة المدرسة المارونيَّة . طُبع في سنة انشاء مدرسة البروپندة اعني ١٦٢٧ . تبعتهُ بعد حين تآليف أُخرى كاجابة الراهب كواداتولوس على احمد ابن زين العابدين(١٦٣٧) ثمَّ غراماطيق لاتينيّ

عربيّ لسلاب دومنيك دي سيلازية (١٦٣٨) ثمّ تعريب الاب الكبوشي برسيوس لتاريخ الكردينال بارونيوس (١٦٥٣) وتعريب كتاب الاقتداء بالمسيح للاب سلستينوس الكرملي (١٦٦٣) ثمّ ترجمة الاسفار المقدّسة في العربيّة والسلاتينيّة لسركيس الرزّي وتلامذة الموارنة في رومية في ثلثة مجلدات (١٦٧١) وهلمّ جرّا

وكانت المطبعة في الوقت عينه تنشر التآليف الدينيّة والتهذيبيّة في عدّة لغات أخرى حتى أنها امكنها سنة ١٦٥٦ لمّا دخلت الى رومية ملكة اسوج كريستنا ان تقدّم لها مجموعاً من القصائد في ٢٢ لغة . ولم تزل تلك المطبعة في تحسّن وازدياد حتى بلغت بوفرة مطبوعاتها واختلاف اشكالها ما لم تبلغهُ غيرها من الطابع الملكيّة . وفي مكتبتنا الشرقيّة امثلة من مطبوعاتها في العبرانيّة والسامريّة والسريانيّة والكلدانيّة والعربيّة والفارسيّة والكرديّة والبرمانيّة والسنسكريتيّة والهندستانيّة والتيبتيّة والارمنيّة والقبطيّة والحبشيّة . وكلها بحروف جميلة . ولمّا عُقد المجمع الفاتيكاني سنة ١٨٧٠ قدّم الحبر الاعظم لآباء المجمع كتاباً من مطبعة بروبغندة يحتوي الصلاة الربيّة في ٢٥٠ لغة فكفى بهذا دليلاً عن عظم هذا العمل ومنافعه . وفي هذه السنين الاخيرة قد جمع الاحبار الرومانيّون بين مطبعتي الفاتيكان ومطبعة مجمع انتشار الايمان تحت اسم واحد « المطبعة الفاتيكانيّة المتعدّدة اللغات » (Typographia Vaticana Polyglotta) تجاري بحسن طبعها ووفرة مطبوعاتها اعظم المطابع الدوليّة في عواصم اوربّة

متحف مجمع البروبغندة ومكتبتهُ

ويلحق بمدرسة البروبغندة بنايتان عظيمتان حُصّت الواحدة بمكتبة المجمع والثانية بتحفهِ والفضل في انشائها كلتيهما يعود الى الكردينال اسطفان بورجيا الذي ترأّس المجمع المذكور سنين طويلة في اواسط القرن الثامن عشر . فصرف عليهما كثيراً من ماله الخاصّ واهداهما مجمع البروبغندة

فالمكتبة غنيّة جداً بالمطبوعات الاجنبيّة النادرة في سائر اللغات الشائعة في انحاء المعمور وفيها عدد وافر من مطبوعات الصين القديمة ومن المطبوعات العبرانيّة الاولى ومن المجاميع العزيزة الوجود وقد تولّى ادارة هذه المكتبة احد مشاهير اليهود المرتدّين

الى النصرانيَّة القارس بولس دراخ (Drach) وكان من اعلم زمانهِ بالتآليف والمطبوعات
امَّا المتحف فهو فريد في بابهِ يتألَّف من تُحف البلاد المديدة التي يشتغل فيها
المرسلون من مواليد الطبيعة والمعادن والانسجة ومصنوعات البلاد وصورها ونقودها
ممَّا لا يوجد كثيرٌ منهُ في المتاحف الدوليَّة الأُخرى. وهناك عدد كبير من مخطوطات
البلاد الاجنبيَّة الجامعة بين غرابة الشكل وحُسن النقوش. وقد اهدى ملوك الدول
كثيراً من تلك النوادر الى الاحبار الرومانيين فاودعوها ذلك المتحف. وهناك
خصوصاً شيءٌ كثير من مآثر المرسلين الدينيَّة كالرسوم والخواطر والازياء. وبينها ايضاً
عدد وافر من آثار اديان الشعوب واصنامهم وخرافاتهم. يُضاف اليها كثير من السلاسل
وادوات العذاب الرهيبة التي استشهد بها المرسلون

فمن هذا النظر الاجمالي يستطيع القرَّاء ان يدركوا ما كان لمجمع انتشار الايمان
من الفضل العميم بإزاء عالم الدنيا والدين. لعمري قلَّما نجد مشروعاً تواصلت هكذا
مساعيهِ دون انقطاع مدَّة ثلثمائة سنة. ولذلك قد امر الحبر الاعظم بندكتوس
الخامس عشر باقامة هذا العيد القرنيّ شكراً لله تعالى عمَّا اسبغ من نعمهِ على المجمع
المنوَّه بهِ ثمَّ ما افاضهُ على المرسلين من بركاتهِ فأمكنهم بمعونتهِ عزَّ وجلَّ ان يُقدِموا
على اعمالهم الخطيرة في تعزيز الديانة وتهذيب الافكار البشريَّة

وقد قصد الحبر الاعظم من ذلك ايضاً ان يبعث في نفوس كثيرين من الشبَّان
الرغبة في مساعدة المرسلين والانتظام في سلكهم للتبشير في اقاصي البلاد فيكونوا
من جملة اولئك الذين امر المسيح ان نطلبهم من ربّ الحصاد ليرسلهم الى حصادهِ
وما من احد يجهل كم هذا الحصاد وافر بليغ وكم قليلون هم الحصَدة

نعم ان مجمع انتشار الايمان قد قام في مدَّة القرون الثلثة المنصرمة باعمالٍ شريفة
لم يكن للكاثوليك ان يؤمّلوا باهتداء الملايين من البشر ودخولهم في حجر
الكنيسة ولكن هذا قليل بالنسبة الى الملايين من الوثنيين وغير المؤمنين الذين تتوق
هذه الامُّ الحنون الى خلاصهم من براثن اعداء نفوسهم ولا همَّ لها الَّا ان تميط عن
عقولهم حجاب الاضاليل التي تغرّهم وترمي بهم في بيداء الجهل والغباوة

فعلى المؤمنين اذن في مدَّة هذه الأيَّام التي عيَّنها الكرسيّ الرسوليّ لحفلات

اليوبيل ان يرفعوا اكف الدعاء الى ابي الانوار ويكرّزوا بايمان حيّ ما علمنا اياهُ السيد المسيح في صلاته الربّية «ليأتِ ملكوتك» فيملك في قلوب البشر اجمعين

ولا بدّ ان يضيفوا الى الصلاة اعمال الغيرة ليسعوا إسعافاً بنفسهم واماً بمساعدة المشروعات الرسولية وراء تلك الغاية الجليلة اعني اهتداء غير المؤمنين وارشاد الضالّين «لان الله اوصى كلّ انسان بحقّ قريبه» (ابن سيراخ ١٧ : ١٢) . فما احراهم ان ينتظموا في شركة انتشار الايمان(la Propagation de la Foi)ويطّلعوا على نشرة الرسالات الكاثوليكية (les Missions Catholiques) التي تروي كلّ اسبوع اخبارهم الرسولية

وستقام في القطر وفي كنائس لبنان احتفالات شائقة على هذه النية فنحضّ القرّاء على حضورها وربح الغفارين الممنوحة للمشتركين بها ولاسيما نوال البركة البابوية التي ستعطى في ختامها يوم عيد العنصرة . وبمناسبة هذه الاحتفالات قد رغب قداسة الحبر الاعظم ان يتلو المؤمنون الصلاة الآتية التي نشرتها جريدة البشير في عددها الصادر في ١٦ ايار

«يا يسوع اننا لا نزال يطرق مسامعنا كلامك الالهي الذي به قابلت قلّة العَمَلة مع عظم الحصاد إذ قلت : «انّ الحصاد كثير واما الفعلة فقليلون »

«ها قد مضت ثلاثة اجيال مذ ركّب الكرسي الرسولي عمل تبشير غير المؤمنين على طريقة منظمة وثابتة . فنزيدهُ هي ثمار غيرة المرسلين الذين بعثهم مجمع انتشار الايمان المقدّس الى اقطار العالم . قد كان بذاراً للمسيحيين الدم الذي سفكهُ مدة ثلاثة اجيال ذلك البطل الباسل باكورة شهداء هذا المجمع المقدّس . ولكن كم من الشعوب لا تزال متسكعة في ظلمات الجهل وكم من الامم نراها حتى الآن جالسة في ظلال الموت . آه انها لمؤثرة جداً المقابلة بين عدد المؤمنين والعدد الاوفر من غير المؤمنين

«ان نتيجة هذه المقابلة ليس من شأنها فقط ان تزيدنا اعتباراً لنور الايمان العجيب الذي يقودنا في سفرنا على الارض ولكن ايضاً ان تحيي فينا ذكر تلك الآية الالهية : « اسألوا ربّ الحصاد ان يُرسل عملةً الى حصاده »

«ايها السيد انت هو ربّ ذاك الحصاد المعبَّر بهِ عن عموم سكان الارض فنتوسل اليك ان تُنمي عدد المرسلين وتزيدهم غيرة وتبارك تعاليمهم لكي يُثمر

بذار الكلمة الالهية الصالح ثمارًا وافرة تجمع في الاهراء السماوية
«استجب يا رب هذه الصلاة التي تلهمنا اياها رغبتنا في ان نرى ملكوتك يمتد ويتسع
«وبما انّ هذه الطلبة «ليأت ملكوتك» تتصاعد كل يوم من قلوبنا اكثر مما تلفظها افواهنا امنحنا القوة والثبات في القصد الذي نقدمه لك وهو ان نسعى باحسن طريقة ممكنة وبقدر ما تسمح لنا قدرتنا في مساعدة عمل انتشار الايمان المقدس آمين



الرأي العام في عثرات الاقلام

بقلم جناب الشيخ امين الجميّل

سيّدي الشيخ الاستاذ (١

قرأتُ بسرور كتابك اليّ بشأن مباحثك اللغوية تحت عنوان «عثرات الاقلام» (٢ فسألتني عن رأيي في ما كتبتهُ. فرأيتُ في سؤال مثلك لمثلي شبهاً لما يُذكر عن الروائي الشهير الشاعر موليار اذ كان يسأل أَمَتهُ رأيا عن بعض مصنَّفاتهِ وعن وقع اقواله في أذنها

اعلم أيها العزيز ان «مواطنك» يفتخر بك اذ يراك عاملاً في اللغة عملاً في الطب فتنادي بالوقاية قياماً بالواجب تاركاً لغيرك ان يقوم بواجبهِ. فثق بأنَّ اصلاح كل غلطة تشير اليها يوليك علينا منَّةً جديدة

وما احقَّ بصحافتنا ان تنتاد الكلام النصيح والقول الصحيح وتتبذل كلّ رطانة

١) ابرهيم منذر من شيوخ بكفيا ٢) نشرها في جريدة الوطن

وركاكة . فلعمري انّ خطأ الناطقين بالضاد قد بلغ مبلغاً كاد يكون كفراً . فقد قرأنا في بعض المطبوعات قول السيد المسيح على الصليب بهذه الصورة: «وأبتاه اغفر لهم» كأنهُ يندب اباهُ وانّما يريد فقط مناداة ابيهِ «يا ابتِ» . وكم سمعنا خادماً في القداس يقول في الصلاة الربيّة : «لا يأتِ ملكوتك . لا تكن مشيئتك» فيبدل الدعاء بالنهي

على أننا مع حرصنا على كرامة اللغة وفصاحتها ربّما رأينا تجاوزًا في الحدود ومضايقةً على حاملي الاقلام . تعدَّد الكتَّاب من الحريري الى جهابذة لغتنا المصريين اليازجي وشقير والبستاني والشرتونيّين وعطيّة وعبد الاحد وجَبَّر والمغربيّ وغيرهم ممّن أشهروا السلاح دفاعاً عن لغتهم . لكنْ هذه اللغة واحسرتاهُ كادت تُختنق وتُقتل لشدَّة عطفهم وحنانهم عليها . فمن ذا الذي يقرأ انتقادهم المرّ الشديد لأشهر الكتّاب ومنشئي الكتب وتآلف الاخلاق ولشيوعها ومعاوضة بعضهم لبعض ولا يصرخ هاتفاً : «لا كانت لغةٌ لا يكاد يكفيها دماغُ سيبويه وتجرُّد اليازجيّ ومكتبة شيخو ومقدرة البستاني

اذا متُّ ظمآناً فلا نزل القطرُ !»

فيا قدكم نرى من الكتبة يميلون الى التعصُّب والتشبُّث بالعتيق ولم نسمع للتساهل صوتاً ولا للتفنُّن صدًى . حكَّموا في مسئلتنا التقليدَ والمهجور فتصدّى لهم المأنوس وغير المأنوس ولم يقم احد من علمائنا يمدُّ للغريق يدًا ينشلهُ من هذا البحر العميق بل توالت عليهِ اللجج فطمرتهُ . منها وفرة الالفاظ وتعدُّد المترادفات لغير جدوى ولا نفع ممّا يصدق فيهِ قول ذاك الاعرابيّ عن هرّه : «ما اكثر اسماءهُ واقلَّ نفعهُ» . وزد عليهِ تشعُّب القواعد الصرفيَّة والنحويَّة وكثرة الشواذّ بحيث ينبغي علينا ان نصرف او بالحري ان نفقد ونقتل وقتاً ثميناً حقُّهُ ان يُصرف في احراز العلوم العالية والدروس الضروريَّة للرقيّ العقليّ ولوازم الصلات التجاريَّة والنهضة العصريَّة فرفقاً بنا يا علماءنا لا تكونوا كغنيّ لا يتصوَّر الفقر ولا وجود الفقراء او كعشيقٍ مالٍ يظلُّ ابدًا قلق الخاطر

انتم يا سادتي الاساتذة اعرفُ الناس بلوائح المدارس الحاليَّة الموجبة على الطالب معرفة الفرنساويَّة والانكليزيَّة والحساب والجغرافية والتاريخ والعلوم بأنواعها من طبيعيَّات وكيميا ورياضيَّات وفلكيَّات ونباتات الخ فهل تريدون فوق ذلك ان نبلغ في معرفة العربيَّة مبلغ الامام الحريريّ او علّامتنا البستاني ؟ أفلا تُضحي اللغة اذ ذاك

غاية لا واسطة ؟ كما شعر بهذا الخطر العظيم الفيلسوف ابن خلدون في عصره فقال في مقدمته ... الظاهر ان المتعلم ولو قطع عمره في هذا كله فلا يفي له بتحصيل علم العربية مثلاً الذي هو آلة من الآلات ووسيلة فكيف يكون في المقصود الذي هو الثمرة . لكن الله يهدي من يشاء » (ص ٥٣٢ من الطبعة المشكّلة)

مسكين ولد اليوم يُطلب منه املاء ذهنه من جميع ما تقدم بخمس او سبع سنين مع ان الشرات لا تكفي للقسم منها ما لم نصرف ديروند او جوزف (هذا اسم يوسف المستحدث) او فريدا عن الحساب واصول النسبة والكسور العشرية والدارجية والطريقة المترية ونواميس الكهرباء والمحركات البخارية والعلوم العملية حتى تحشو دماغه بمئات من الالفاظ التي قالها العرب في الابل والاسد والخمر والسيف والداهية مما لا يتحرك لنا به لسان (الشيخ ابرهيم) » والولد بجسامة لفظة يقدر ان يتكلم بالالمانية او الانكليزية

وما لي اقول الولد او التلميذ ولا اقول التاجر والصانع والطبيب . وأنى لنا الوقت المتسع للاحاطة بهذه الاوضاع والاحتفاظ بها ونحن مدفوعون الى العمل لا بعدو الابل لكن بصفير البخار واهتزاز الكهرباء والجهاد في سبيل البقاء ، ان ناموس الزمان والمكان يصرع من يحاول نقضه . لقد مضى ولن يعود الزمن الذي كان ممكناً فيه ضبط دقائق اللغة والانتصار للكوفيين على البصريين ومشاكل الحروف والحركات ثم أشكال عرش « جلالة الملكة الهيزة » وقد قال فيها شيخنا اليازجي نفسه : « قد مات علماؤنا ولم يفرغوا من تحرير رسمها » فهذا يكتب رأسة وذاك رئاسة والاخر رياسة وهلم جراً

أما كفت لفتنا مصائباً بأننا نتكلم باللهجة العامية ونكتب الفصيحة ونخلط بلا شكل ولا فواصل كأننا نسطر الاحاجي والاختزال بالذات . قال احد كبارنا : « بغير لغات نقرأ لنفهم وامّا بالعربية فيجب ان نفهم لنستطيع ان نقرأ فخذ اي لفظة شئت مركبة من ثلثة احرف سالمة يمكنك ان تقرأها على نحو ثلثين صورة على مقتضى الحال . وقد قرأت آنفاً للهمام جرجي افندي بازكاكو اسرار المجمع العلمي الشرقي عنوان خطاب « ما لي جلد » فظننت بالي الى صديقي اللطيف الشعور واشتققت عليه لما تصورته من ألم السلخ اذ قرأت لاول وهلة « لا جلد لي » . الى ان اطمأنّ بالي

لما ادركت انهُ اراد «لا جَلَد لي» . وكم يخلطُ القرّاء بين الحِمام والحَمام وعلم جرًّا

انّ اللغات الحيّة تعمد كلّ يوم الى تحطيم قيودها ونحن نزيد لغتنا تكبيلًا وتشديدًا. بالامس قضت الاكادمية الفرنسويّة تأييدًا لرأي الكتبة على شذوذ الجمع في بعض الالفاظ من نحو genou, hibou, فألحقتها بالقاعدة العموميّة وحذفت مشاكل خط الوصل (trait d'union) بل محته من اصلهِ وسهّلت قواعد اسمَي الفاعل والمفعول وحكمت بكتابة الفاظ عديدة وفقًا لاصلها . ونحن لم نزل نكتب حيوة وصلوة ومانة مع لفظنا أيّاها «حياة وصلاة ومنة» . نراهم يُدخلون في معاجمهم الالفاظ الجديدة المستعارة وينبذون ما أُهمل استعمالهُ ونحن لا يُجاز لنا ان نستخدم لفظة «قماش» مع كونها اللفظة الوحيدة التي نعبّر بها عن الانسجة بانواعها . ومثلها «الصُّدفة» بمعنى الاتّفاق والمصادفة . و«صَرَف» بمعنى انفق . و«المكتوب» للرسالة . فهذا التقييد سوسةٌ تقرض جسم اللغة وتعدل بنا الى لغة معدودة المباني قليلة القواعد خالية من الشواذ كاللغة الدوليّة المعروفة بالاسپرنتو وربّما تكون لغة المستقبل

انّ التمسّك بالقديم حسن لكنّ للجديد ايضًا حقوقًا يجب مراعاتها . ولِمَ لا يكونُ كذلك أَفما نزلت اللغة وحيًا على البدويّ . وكم تختلف لغات اهل البادية في عهدنا . او ليس لمثل هذه الطوارئ اضطُرّت بعض اللغات كاللاتينيّة واليونانيّة والارمنيّة ان تكتسي صورة جديدة فنرى اليوم اللغتين الحديثتين اليونانيّة والارمنيّة . ومن اللاتينيّة اشتُقّت اللغات الفرنسويّة والايطاليّة والاسبانيّة وكلّها بنات اللاتينيّة

هيهات ان ننسى ما للعربيّة من الحسنات العديدة منها لفظ كلّ حروفها المكتوبة واذا شُكّلت الحروف كان اللفظ ابدًا على صورة واحدة فيجيد الطالب قراءة العربيّة بزمن قصير على خلاف الانكليزيّة والفرنسويّة وفيهما ما فيهما من مشاكل القراءة . ومنها تمييزنا السهل بين المؤنث والمذكّر في الاسماء وهو احدى عقَبات اللغة الفرنسويّة . وما أجمل وادلّ اوزان افعالنا المزيدة كفعّل وأفعل وفاعل مع سهولة تصريف هذه المزيدات على مثال المجرّد واطّراد القاعدة فيها . وما أوجز وألطف وزن أفعل التفضيل فكما انّ اللاتينيّة تؤدي هذا المعنى بصيغة معلومة وقياس ثابت فكذلك لا تحتاج العربيّة الى لفظتين . ونرى لقدماء الكتبة في هذا الباب سَعة نظر لا تنطبق على ما يسمح بهِ ارباب النحو . ومن ثمّ لا نرى بأسًا في استعمال بعض

الكتبة «أنسب وأوفق» وامثالها فضلًا من انّ الغلط المألوف خير من الصواب المهجور

وعلامَ لا يتوسّع اساتذتنا في الجمع السالم ما امكن. أفليس «كريون وجريحون وبائسون وحاجات» حسنة التركيب مثل كرماء وجرحى وبؤساء (ولا وجه لبؤساء في اللغة) وحاج وحوائج. فليُطلق على المذكّر ما اطلقوهُ على المؤنث لأنهم اجازوا استعمال المؤنث السالم على ما لم يوضع لهُ جمع. وقد سمعتُ بالامس ولدًا صغيرًا يأتي بالجموع كلها على هذه الصورة فقلت: يا ليت فعل مثل ذلك سيبويهِ ونفطويهِ!

وما قولنا بجمع الاناث في الافعال وما لا يجري على لسان من صيغتهِ حتّى يأنف من استعمالهِ لخشونتهِ اشدّ الناس تعصُّبًا للغة ومثلهُ المثنى في بعض الاحوال. أفلا يأتي زمنٌ يحلُّنا من قيودهما الثقيلة كما يجري عليهِ العامّة

وكان الاحرى باللغويين ان يتّفقوا على ازالة ما في بعض التراكيب العربيّة من الالتباس كما عدّد ذلك اليًا مطران نصيين في احد مجالسهِ التي نشرها المشرق مؤخّرًا. وكم في كلام العرب من الالتباس في استعمال الضمائر اعيكك مثلًا ان تميّز في هذه العبارة «دخل ابو نواس على هارون الرشيد فقال لهُ: أيّها القائل أهارون او ابو نواس. ومثل هذا كثير في كتب العرب

وعلى رأيي انهُ من الواجب التقليل من الشواذّ ما امكن فنقول مثلًا: «الواجبات الإبنيّة والصنائع اليديّة» بدلًا من البنويّة واليدويّة

وما يضرُّ لغتنا استعمال الفاظ جرت اليوم على السنة العموم مع حسن مدلولها كالشمّات والحربة والشمسيّة فنبدلها بالفاظ غريبة قضى بلاجتنا بتسميتها «النسج المصلّدة والشاري والمالة»!

وكم كنّا نودّ لو اتّفق اللغويّون العصريّون على وضع اصطلاحات قريبة المنال لتأدية معانٍ جديدة او اختراعات حديثة بدلًا من أن يتّسعوا بتعداد المرادفات فنقتصر على استعمال «الشهر الماضي» دون المنصرم والدابر والمنسلخ والغابر. ولا خوف على اللغة لو آنسها بعض الدخيل «كالليرة والقونك والكالوش والتلفون والتبغ» ولنا أسوة في القدماء الذين قالوا «الدينار والدرهم والقميص والافيون والتنبج والفلسفة والكنيسة والموسيقى وجهنّم» ولا يأنف الفرنج ان يأخذوا من لغتنا الفاظًا عديدة كمخزن (magasin) وتعريفة (tarif) وجبر (algèbre) وصقر (sacre) وغزو

(razia) ومولَّد (mulâtre) وسَمْت (zenith) . فايُّ عجب لو استعرنا من لغاتهم الفاظاً لا نجد لها شبيهاً في لغتنا

على انَّ العجب العجاب في ذلك ان نعمد الى الفاظ نقلوها من لغتنا الى لغتهم مع تغيير صورتها فننسى اصلها ونأخذها منهم مصحَّفة كقولنا موسَلين تعريب (mousseline) وهي من اسم « الموصليّ » لنسيج معروف اصلهُ من الموصل . ومــا لنا وللدفتيريا والدوسنطاريا وعندنا ما هو اقدم وادلّ اي الخُناق والزُحار

وقد عرف كتبة العرب استعمال «لا» النفي فضمُّوها الى الاسماء وقالوا الـلاشي واللاأدريَّة أفنتجاوز طورنا لو قلنا على مثالهم « اللاسلكي واللانهاية واللامناعة » . وايُّ مانع يمنعنا من استعمال صيغٍ قديمة لمعانٍ حديثة كاستعمال القهويَّة (caféine) والكينيَّة (quinine) لجوهر القهوة والكينا كما يعبّر الفرنج عن ذلك باضافة(ine)

وما احرانا بالتوسُّع في نحت الالفاظ كما فعل القـدماء فقالوا « الحمدلة والبسملة والحَبْتَرَ» أفنأثم لو قلنا « قَتْدَم » اي فقر الدَّم والانيميا كما شاع اليوم . والانكليز والفرنسيس رُبَّمـا اختصروا عدَّة الفاظ واكتفوا بحروفها فيقولون TLSF بدلاً من Télégraphie sans fil وPLM اي خط باريس وليون والبحر المتوسّط . وبعض اقوال العامَّة تُشعر بهذا الاختزال فيقولون «هلّق» اي هذا الوقت و«إسّه» اي هذه الساعة

بارك الله في يوم يقولون لاولادنا لنْ « يملح وطريق وحمــأم و . . . . و » من المذكّر لا من المخنَّث . وبساعة يقرُّ بها رأي ائمَّة اللغة على كتابة الهمزة بشكل واحد مع كلّ حركاتها أ أ إ فتستريح المطابع وادوات الكتابة من همها . لعمري لقد ثَلَّث العروش وألغي الرقّ فعلامَ الخضوع لهذا الاسترقاق

فمنى ان يقوم بيننا افراد او جمـاعة يحملون على هــذه التعقيدات والتعميلات كاللام الخبريَّة وما الزائدة في قولهم «غير ما عأة» واللام الزائدة ويحملون نصيبها نصيب الزائدة الدوديَّة التي يقطعها الجرّاح حيثما يصادفها . ومن الى الّا الاحتفاظ على القديم المُمات فليضمهُ مع النوادر اللغويَّة وشوارد اللسان والتزكل في الشمر في خزانة مع اساطير الاوَّلين او يودعها في المتاحف مع اوراق البرديّ المصريَّة واجسامهم المحنَّطة

عجّلوا بالدواء يا سادتي قبل تفاقم الداء . وأملي فيك يا سيّدي الشيخ لن تكون مع مجمع علميّ في مقدّمة هذه النهضة اللغويَّة الجديدة . حقّق الله بك امانينا

توبة الآبق

سرية بتصرف بقلم الاديب جوزف وحيد غريبه (تتمة)

انتهى الملازم من تفقد الاسماء. ثم صرّح بصوت هائل تردّد صداه بين الامواج: والآن فالانتباه !

وقفاً جنود ! انتظام ! الاسلحة على الاكتاف ! الى الامام !

وحينئذٍ كنت ترى الجنود تسير بعُجب وافتخار بخطوات منتظمة نحو البحر والملازمين والقوّاد يُلقون الحلي في الصدور بما كانوا يبدونهُ من سيماء الشجاعة ويوجهون اليهم من الغاب التفخيم

كانت المراكب الحربية تطفو فوق المياه وضمنها تمجّ الجيوش كالامواج بينما كانت الموسيقى العسكرية تصدح بالحان شجية وعزنة معاً فتقبضُ قلوباً في صدور وتستقل دموعاً من عيون

حينئذٍ أرسلت المراكب نحو الفضاء غيوماً كثيفة من الدخان حجبت نور الشمس. ثم تموّجت الاعلام في العلاء بينما كانت المناديل تتراوح بين ايدي المودّعين فوق اليابسة وجنود فرنسة الابطال يشقون عباب المياه . . نحو الصين ! الى حيثما يستدعيهم مجد فرنسة لقمع شوكة القوّاد المعروفين بالرايات السود الذين كانوا يرتكبون كل انواع الشرور على حدود تونكين الفرنسوية . . .

كادت أُلجُ تغيب عن العيان بينما كانت السفن تمخر غمر البحار. وهناك من داخل المراكب كانت تتصاعد نحو السماء الوف من اصوات الحلي صادرة من اعماق قلوب تهتفُ بسرور :

الى الحرب ! الى الحرب ! النصر يفترُّ لنا عن ثغره الباسم !

في تلك الساعة كان الملازم دوجيه يحلم بالارتقاء الى رتبة قائد عام الحملة ولويس

برس بالقتال بشجاعة والاخت ماري مادلين الراهبة الممرضة بتخليص نفوس وشفاء اجسام الجرحى الساقطين ..

كان الجميع يتوقون للنصر ولم يكن لشبح الموت مدخل بين اولئك الابطال !

٥

كانت الفرقة الاجنبية تُقاتل في مقدّمة الجيوش وكان النصر حليفها في كل مكان. وبعد مواقع عنيفة فني فيها كثير من حَملة ده مارسلي زاح الثوار عن مراكزهم ولجأوا الى الفرار وهكذا اصبحت الحدود الفرنسوية لوقتٍ ما في مأمن من الطوارئ. فاستُدعي الجيش باجمعه اذ لم يعُد له من لزوم هناك. وتُركت بضع فصائل من الجنود فقط تحرس الحدود وتقيم في مراكز فاسدة الهواء.

ولم يمضِ الّا زمن وجيز حتى اعاد الثوّار الكرّة ولكنّهم كانوا هذه المرّة اكثر عددًا ممّا مضى. وكان الكولونيل ده مارسلي وجنوده في مدخل الصين في دونغ دُنغ التي اشتهرت بحملة لِنكريَه سنة ١٨٨٥ في منطقة تحوطها الثوّار. أما جيشه الصغير الذي اودت الاوبئة بحياة جزء عظيم من عدده وذهبت نيران المدافع بمئات من أبطاله فكان باقياً منه يومئذٍ نحو المئة من الرجال.. وقد تُرك قائدهم لـيهم ليتأكدوا بان الدولة لم تهملهم وشأنهم

ظلّت تلك البقايا معسكرة نحو شهرين من الزمان في دونغ دنغ في اكواخ حقيرة يفترشون الارض المتوحّلة ويلتحفون السماء. وبعد ان تكبّدوا من المرائر الوانًا تارةً يهجمون وتارةً يدافعون فشت بينهم اخيرًا الحمّى الصفراء فلم تُبقِ ولم تذر. أما المراكز البعيدة التي مات جنودها فتُركت وشأنها اذ لم يعد يوجد من يُرسَل اليها

وكان من تلك المراكز واحد بقي فيه عشرة رجال لا غير. ومعهم الجندي لويس برس والملازم روجير ابنه وراهبة ممرضة الاخت ماري مادلين التي كانت تنتمي الى رهبنة الرسالات الافريقية وقد تطوّعت باذن رؤسائها سنة ١٨٩٢ لخدمة الفرقة الاجنبية فأُرسلت الى بليداه في سويسرة مركز القيادة يومئذٍ مزوّدة بشهادة من رئيستها سيُتت قراءتها للكولونيل ده مارسلي في ذلك اليوم انشغالًا بالهِ واهتمامًا زائدين. فبينما كان الكولونيل يومئذٍ في مركزهِ يتفقّد شؤون جنودهِ وصلت اليه تلك الراهبة وسلّمتهُ شهادتها فقرأ فيها ما يلي :

«مادلين برس» اسمُها في الرهبنة الاخت ماري مادلين طلبت اشدَّ المراكز خطرًا في الفرقة الاجنبية فأُعطيَتْه . وهي لا تخشى الاتعاب ولا تهاب الاخطار ويُمكن الاتكال عليها . قدّمت ذاتها ضحيةً للتكفير عن ذنب ابٍ لها آبق من الجيش في حرب السبعين. عمرُها ٢٢ سنة. اصلها من طروى في شمبانية

شعر الكولونيل حينئذٍ باقشعرار سرى في عروقه عندما قرأ تلك الشهادة . وقد غلب على ظنّهِ لأول لحظة ان الراهبة ابنة صديقهِ لويس الآبق ولكنَّهُ لم يستطع ان يجزم بصحة الامر لانَّ لويس لم يكن اخبره قط ان له ابنةً ما . فالقى على الراهبة عدَّة اسئلة لعلّه يتمكّن من معرفة الحقيقة لكنَّه لم يستطع لان الاخت ماري مادلين لم تكن تعرفُ شيئاً عن ابيها واخيها . ولما الحَّ عليها بالسؤال قالت له : «ارجو من سيدي الكولونيل ان يغيّر الموضوع . فطالما وددت ان اسبرَ غور هذا السر الذي يكدّر حياتي لكني لم اجنِ غير الحزن والقنوط وعليهِ عدتُ نذرتُ بان لا افكر فيهِ الّا بأمرٍ او بإذن رئيساتي وهكذا عاد السلام الى نفسي فلا اريد ان افقده ثانية» . فاحترمَ الكولونيل عواطفها واكتفى يومئذٍ بتطمين نفسهِ بان العناية تكشف هذا السرّ الغامض يوماً ما . وفي المساء عينهِ كتب الى طروى ليستطلع جليّة الامر

٦

عسكر اولئك الابطال الثلاثة عشر في ذلك اليوم عند نبع «كوا . ترا . هو» . وقد نصبوا مركزًا من الاخشاب رفعوه عن سطح الوحول ببضع خشبات من الخيزران على علو قامة الانسان . ولم يكن لا سقفٌ ولا حواجز ولا حيطان . واقاموا هناك ينتظرون موتاً ام فرَجاً . وكانوا في وسط النهار يتولون الى الارض فيتفقدون الجهات وعند المساء يلجأون اليه ليقضوا بضع ساعات من الراحة . ولكن اين الراحة لمن كان الآن شبحُ الموت منتصباً بين عينيه !

كان المحلّ قفرًا يابساً وكان مركبٌ صغيرٌ يخرج من «لنغ سون» كلَّ اسبوع فيأتي اولئك المساكين بشيءٍ من القوت ويأخذ ما لديهم من جثث الاموات

ففي آخر مرّةٍ القى ذلك المركب مراسيه جدًا . مركز «كواتراهو» كان اللازم وابوه فقط من بين الجنود يستطيعان الانتصاب على اقدامهما . فطلب اللازم من القبطان ان يسأل الكولونيل بتنحيهم من تلك الجهة مهما كلّف الامر لانه عاد من المحال الثبات اكثر من ذلك . فقد كان جنوده بالرغم من مرضهم يتناوبون ساعاتِ الحفر

ذهب المركب وبقي اولئك المنهوكون ينتظرون على احرّ من الجمر. فانقضى اليوم بعد اليوم وما من نجدة اتتهم لا من البرّ ولا على سطح المياه. فأخذوا يتأهبون للموت اخيراً في ذات يوم وقفَ فارسٌ عند مدخل حصنهم فجاء روجيه لمقابلته فسأله: كم عندكم من المرضى وكم من الاصحاء القادرين على الثبات؟. فاجاب اللازم: مرضانا تسعة واصحاؤنا اثنان ولدينا راهبة ممرّضة. فالبدار البدار أسرعوا فخذونا من هنا وإمّا ان نموت. فاجاب الرسول: انتظروا ثمانية ايام اخرى والفرج يفتح لكم ابوابه

— ثمانية ايام؟ يا الله! وهل في ثمانية ايام يبقى منّا أحد؟

— ولكن ما العمل وجنود دونغ دنغ مثلكم. لما انت فاوصاني الكولونيل ان اقول لك هكذا: ولئن بقيتم رجلين تستطيعان الانتصاب على الاقدام فهذا كافٍ. فاثبتوا فقط وعن قريب نَصلكم بالمدد فنأخذكم من هنا احياء ام امواتاً ..

وكان الجنود المرضى مستندين حينئذٍ الى ايديهم ينصتون الى قول الرسول وما كاد ينهي كلامه حتى تصاعدت من افئدتهم زفرات ألم وسقطوا الواحد بعد الآخر فوق الحشيش اليابس لا يَعُون شيئاً. فكانت الممرّضة المسكينة تعتني بالجميع. فاسندت رؤوسهم الى اكياسهم واتتهم بمشروب قوي اعاد اليهم الروح لمدّة ما

أمّا اللازم روجيه فردَّ على الرسول بسلام عسكري واجاب: «حسناً فلنعرف اذاً كيف يجب ان نموت!»

فاجاب الرسول: كلّا لا يجب ان تموتوا بل الكولونيل يقول انه يجب ان تحيوا. نعم يجب ان تحيوا لاجل شرف فرنسة. وانه لن يدع مركز كواترلغو وشأنه طالما هو في قيد الحياة. ولئن قُتلتم انتم فسيدافع هو بنفسه عن هذا المركز حتى يلقى النصر ام الحِمام. أما غايته القصوى فهي ان تبقوا احياء ... هذا والكولونيل يبلّغ كلّاً منكم اخلص تحيّاته ويعدكم بجائزة. أوَ ما أنتَ اللازم روجيه؟

— نعم

— وهذا هو ابوك الجندي لويس؟

— نعم

— فاين هي الاخت ماري مادلين. فانّ معي رسالة اوصاني الكولونيل ان اقرأها على مسامع كل الثلاثة منكم.

— الراهبة هي فوق تعتني بالجرحى. اتريد ان اوعز اليها بالنزول ؟
— اريـد فقط ان تصغي اليَّ

فمدّت الراهبة رأسها نحوه من اعلى الرابية الخشبية. فقال لهـا : «يا اختِ يرغب الكولونيل اليكِ ان تصلّي في هذا الاسبوع اكثر من العادة لاجل ابيـكِ واخيك المجهولين. هذا ولـدى الكولونيل اخبارٌ مبهجة عن عائلتك يُعلمك بها بعد ثمانية ايام اذا حفظتْ صلواتُك في قيد الحياة

«اما الجندي لويس فامرني الكولونيل ان اسلّمهُ هذه الامانة واقرأ لهُ هذه الاسطر الاربعة من الرسالة». وكشر الرجـل علماً مخرّقاً لم يكد يراهُ لويس حتى سقط على ركبتيهِ فضمّهُ الى صدره وقبّله باحترام. وكان ذلك علمَ بورباكي نفسه الذي ارجعه لويس للكولونيل يوم كتب له الرسالة من ستروغ. وكانت في تلـك البرهة تنظر عيون الجميع اليه فقرأ الرسول من مكتوب الكولونيل ما يأتي :

صديقي انا مُرجع اليك رأيتي فلتعلو فوق مركز كواتراهو. دافع عنها وخلّصها. اياك ان تدعها في يد العدوّ طمعاً في حياةٍ اخرى ! الثبات ثمانية ايام فقط ! . .

ثمَّ امتطى الرسول جواده ودار بوجهه للرحيل لكنّهُ رجع فوراً نحو الملازم فقال له : لقد نسيت ان اقرأ لك بقية الرسالة

فالكولونيل يقول لك بأنك يوم وصوله الى هنا ستعرف اسـك الحقيقي' واسم ابيك وعائلتك ويُبشّرك منذ الان بانك ابنٌ من عائلةِ ابطال ومن والدٍ يفتخر بان يحيّيهُ التحية العسكرية قبل ان يموت. ففي ثمانية ايام تعلم الباقي' والان فالوداع ! . . .

بعد دقائق قليلة كان علَم جيش بورباكي يتموّج في الفضاء فوق مركز كواتراهو وجنديٌّ طاعن في السن يحييهِ والدموع ملءُ عينيهِ وملازم ينظر اليه بافتخار بينما كانت راهبة راكعة بالقرب من الصاري تتلو سُبحتها وتسعة من الجنود الجرحى يمدّون نحوه سواعدهم ويهتفون

لتعش ! لتعش ! ولتحيَ فرنسة

٧

مرّت ثلاثة ايام ! هل من شيءٍ جديد ؟

في المساء الاول حمل لويس وروجير جندياً وكان على آخر رمق لاتستطيع ركبتاه

على حمله فاجلساه على صخرة هناك واوصياه بالسَّهر اذ عليه تتوقّف حياة بقية رفاقه واوعزا اليه بان يُطلق عيارًا ناريًا فقط اذا ما رأى طلائع من الثوّار ليُسلموا مرضاهم ويحاربوا قدر المستطاع

ثبت الجندي في مركزه حتى نصف الليل . ولم يكد لويس وروجيه يسمعان طَلقتهُ النارية حتى اسرعا لمساعدته فوجدا الثائرين يحوطون به وقد أُصيب برصاصتين . فقاتل الاثنان قتال السباع حتى أجليا العدوَّ عن النقطة ورجعا ليغمضا عيني الباسل الاول

دفناهُ عند الصبح لدى رابيتهم وفي المساء الثاني تطوَّع واحد آخر من الجرحى ليقضي ساعات الخَفَر . فلم يمضِ الهجيع الاول من الليل حتى سُمعت طلقته النارية فردًا على اشارته باصوات بنادقها واسرعا الى مساعدته . ولكنَّ الباسل الثاني كان يتضرَّج بدمائهِ لا روح فيه وكان الثوّار يتقدَّمون نحو المركز . فاخذ كل من الجنود سلاحه وتأهبوا لاطلاق النار . وكانت الممرّضة تعدو من الواحد الى الآخر فتشدُّ هذا وتضمّد جرح ذاك وتسقي الآخر منعشاً وكان مثلها الصالح يلقي الحماس في قلوب الجميع ويحبّب اليهم الاستقتال . فأصلوا العدو نيرانًا حامية مع ضعف ايديهم فردّوهم ايضاً على اعقابهم خاسرين . ومن ينكر ان الفضل عائد الى ذلك البطل الذي انذرهم قبل حلول الخطر فمات شهيد الواجب !

في صباح اليوم الثالث كان روجيه في حيرة وارتباك عظيمين . سبعة جنود يحتاجون الى من يحرّك لهم ايديهم وهو ولوه وحدهما يستطيعان الانتصاب على اقدامهما فمن يخفر المركز في تلك الليلة ولديهم ستة ليالٍ اخرى . فانتصب لويس وقال لابنهِ بانه سوف يقوم بالحراسة فاجابه هذا : كلّا ذلك مُحالٌ فمن يدافع عن العَلَم وعن هولاء الجرحى ومن يؤهّبهم لاطلاق النار . وفضلًا عن ذلك فيجب ان تبقىَ انت عائشاً مدة ستة ايام فلا تُقتل قبل ان تعرف ما هو سرُّ الكولونيل

فقاطعه لويس قائلًا : ولدي روجيه اترك الحبَّ البنوي جانباً وانظر الى ما يقتضيهِ واجبك العسكري فيجب ان اقوم انا بالحراسة هذه الليلة وانت تقود حركات الجنود في القتال . وبينا هما كذلك هتف احد الجنود نحو اللازم فأسرع اليه ظانًا انه في حاجة الى مساعدة فتوسّل اليه الجندي بحقّ شرفه العسكري والمجد فرنسة ان يدعه

يُمضي هو نفسه خفيرًا في تلك الليلة. فضحك روجير وقال له : ولكنّك يا عزيزي لا تستطيع الانتصاب على قدميك. فاجاب: ولكن لا بأس فليس غيري بين الجنود مَن يمكنه ان يطلق عيارًا ناريًا.. فاربطوني انتم الى شجرةٍ ودعوني اقوم بوظيفتي ولئن متُّ فاكون ضحية الواجب!..

لم يُرد روجير ان يسمح بذلك في اوّل الامر لكنّهُ لِما شاهد من لجاجة الجندي قال له: ليكن لك ما تشاء.

وما كادت الشمس تميل نحو الغروب حتى كنت ترى اللازم وأباهُ يحملان جنديًا ضعيف الجسم شاحب اللون غائر العينين مجوَّف الخدَّين فيصافح كُلًّا من ارفاقه الجنود وقد جاءا به الى امام شجرة فشدَّا وثاقه وسلَّماه سلاحهُ بينما كانت الممرضة تضع في عنقه سبحةً وتوصيه بالالتجاء الى قلب يسوع الاقدس ووالدته المجيدة. ثم ركعت امام قدميه تبكي وتُصلّي. وبحقٍّ فعلت. أوَ لم تكن وَقفته حينئذٍ وقفة شهيد يتوقَّع نوال الاكليل ؟

أُغمي على الرجل مرتين ومرتين أُسقي مقويًا حتى استطاع سبيلًا الى فتح عينيه. ولما ان استأنس من نفسه قوة على الثبات قال لهم : اتركوني الان وحدي وانصرفوا الى مراكزكم فعزّزوا موقفكم وتأهبوا للدفاع ...

لم يُغمَض لروجير جفنٌ في تلك الليلة وكانت عيناهُ تُحدقان بالافق من الجهات الاربع. وكانت كل افكاره عند ذلك الباسل الثائر وهو يقول في نفسه ! واعجبي أهل من تضحية ذات في سبيل المصلحة العمومية اكبر من تضحية ذلك الجندي المشدود الوثاق الى الشجرة ؟

وقد حامَتْ مخيّلته في التصورات فتخيّل الرجلَ ساقطًا على الارض مضرّجًا بدمه والثوار يفرغون فوق رأسه جامات غضبهم . فانتبه حينئذٍ مذعورًا وقد حسب نفسهُ سامعًا صوتًا غير صوت الطَّلق الناري ثمَّ استوقف فكر روجير جلَبة غير اعتيادية من بعيد ولمح هامات سودًا في وسط الظلام تتحركُ وتتقدَّم نحوهم وبينما هو كذلك اذا بوجهٍ اصفر ينسلُّ كالافعى عند مطلع السُّلَّم وقد ارسل القمر حينئذٍ اشعته الفضيَّة فانارت تلك الجهات فتأكد اللازم انهم اصبحوا في قبضة الثوار الذين احاطوا بهم احاطة السوار بالمعصم. فصرخ بصوتٍ متقطع : الى السلاح ايها الجنود اهجوم!..

واطلق من غدّارته – وكانت بيده – عياراً نارياً ألقى بالصيني نحو المياه. وما هي الا برهات معدودة حتى كانت النيران من البنادق الفرنسوية تنصبّ كالمطر فوق الاعداء. فظنّ هولاء ان عدداً كبيراً من الجند مُعسكر فوق تلك الرابية وان لا قِبَل لهم على أخذها على غرةٍ بل الموت امامهم فيما لو لبثوا طويلاً فلجأوا الى الفرار..

٨

اشرقت شمس اليوم الرابع فكان لويس وحدهُ الرجل السالم من جنود تلك الفرقة الكبيرة. كان روجير مخلوع الكتف وجندي ميتاً وثلاثة ساقطين بين الوحول واثنان يهذيان من شدة الحمّى

نحو الظهر اقبل المركب كعادته فاقلّ المرضى والموتى ثمّ اوعز القبطان الى الرجلين العائشين ان يمكثا ايضاً واشار على الراهبة بأن تَرحل اذا احبّت فرفضت قائلةً: مركزي هو هنا طالما يوجد جندي واحد جريح

كانت القلوب حينئذٍ تقطر دماً من الحزن والالم. امّا علم الكولونيل ده مارسلي فكان وحده لا يزال ينطوي وينشر في الفضاء فرحاً مسروراً. كصورة حيّة لوطنه المجيد

اربعة ايام اخرى مضت والثوار لم يبدُ لهم أثر فقد كانوا خسروا عدداً كبيراً من رجالهم حوالي المركز الافرنسي ولكنهم كانوا يجهلون حقيقة حاله

وكان الاب من الصبح الى المساء ومن اول الليل الى بزوغ الفجر يخفر المركز واقفاً. وكان يستند الى سلاحه لينام. وكان الملازم يرتجف من تأثير الحمّى فوق الرابية والممرضة تعتني به كأمّ شفوق. وكانت نظراتُها تخترق اعماق فؤادهِ وهو لم يعرف لذلك سبباً. وكان يشعر نحوها بحبّ شديد حبّ شكرٍ واحترام. وكانت هي ايضاً كلّما اختلت بنفسها تسأل ذاتها عن سبب تعلقها الزائد بذلك الملازم وهي لم تتكتر قط بحبّ رجل بعد ان كرّست نفسها لخدمة الله. وكثيراً ما كانت تصادف بإزائها الجنديّ لويس فما تقع ابصارهما بعض على بعض حتى تغرورق عينا الجندي بالدموع. ولما سألته يوماً عن سبب ذلك قال لها: «لقد كان لي امرأة صالحة على جانبٍ كبير من الجمال والتقوى وقد سببتُ انا موتها باثمٍ فظيع ارتكبتهُ نحو وطني وقد اغلقتُ اذنيّ عن سماع صوتها العذب الذي كان يدعوني الى الارعواء. والآن فكلّما

نظرت اليك تنتصب امام عينيَّ صورتُها نفسها. فعيناك تشبهان عينيها وصوتُك هو صوتها ذاته . . . »

٩

كان اليوم السابع والملازم روجيه يشعر بشيءٍ من الراحة. فأخذ يفكّر بما يصنع فيما لو هجم الثوار مرّةً اخرى قبل فجر الغد. فسأل الممرّضة ان تأتيهُ بسيفه ومسدّسه. فجرّبهما بين ايديه فقال: « حسنٌ فبمسدّسي اقتل البعيدين وبسيفي اردُّ غارات الهاجمين. فساعدي قوي ولو كان كتفي مخلوعاً . . . »

فلألأ القمر عند الافق وكانت النجوم تسطع في كبد السماء. وكان لويس الجندي في اسفل السلّم يُحدق بابصاره نحو الفضاء. والملازم روجيه مستندٌ الى كوعهِ الايمن وبجانبهِ الراهبة راكعة تسقيهِ دواء. وعندئذٍ بدت طلائع الثوّار. فاطلق لويس عياراً نارياً وتسلّق السلّم فصار الملازم الى جنبه. فلم يمهلا العدوّ ريثما يتقدّم بل رشقاه بنيرانهما مدّة ساعتين من الزمان. فتظاهر الصُفر بالهرب. لكنّهم اعادوا الكرّة نحو نصف الليل وكانوا هذه المرّة يزحفون على صدورهم كالافاعي. ولمّا ان صاروا تحت الرابية جمعوا خشباً يابساً وتبناً واضرموا النار واحاطوا بالمركز من جهاته الاربعة. فما كان الّا القليل حتّى اندلع لسان اللهيب. فالتهمت النيران دعائم المحل فهوى في النهر. فاحاط الثوّار بالرجلين شبه الكواسر ومنهم مَنْ دخل الى المراكز ليقضي على من فيه ولكن شدَّ ما كان دهشهم عندما رأوه فارغاً. وكان لويس وروجيه في تلك الساعة يقاتلان قتال الليوث. وقد تكدّست جثث القتلى حواليهما حتى اصبحا كأنّهما في وادٍ. وقد انقطع خطُّ المواصلة بين الراهبة والجنديّين. فركعت على الارض تتلو سبحتها وتصلّي الى الله بصوت عالٍ لنصر اصحابها! ومجد وطنها! وهداية اعدائها! ثم للتكفير عن ذنب ابيها الآبق ولراحة نفس لوسي امها! . .

بلغ صوتها حينذاك اذني الجنديين فكاد الدم يقف في عروق لويس عند سماع كلمتي آبق ولوسي وقد اخذ سرُّ الراهبة ينكشف لهُ شيئاً فشيئاً. وفي تلك الساعة الهائلة اتشكر بعلَم الكولونيل فاضطرم قلبه شجاعة اعظم فهجم في وجه الاعداء. ففتح في صدرهم ثغراً كبيراً وشقَّ الطريق نحو المركز واسرع نحو العلم. وكانت النيران قد اخذت تلتهم ساريَةُ وهو يهزُّ وهو يخفق في الفضاء كانهُ يريد ان يهرب من

الحريق · فقطع لويس الحبل الذي كان يرفعهُ وشدَّهُ نحوه فلفَّهُ على ساعده وكرَّ نحو حومة الوغى

كان روجير في اثناء ذلك قد حوَّل العدو عن مكانه واسرع لمساعدة الراهبة واتى ابوه الى جانبه · فاحتاط بهم الثوَّار من جديد واشتبك القتال للمرَّة الثانية · · · وما لبثت ان نفدت ذخيرة الرجلين !!! · · ·

خرَّ روجير على الحضيض صريعاً يتخبَّط بدمائهِ · فاسرعت الراهبة لتضميده · فاستطاع ان يفتح عينيه ولكنَّ جرحه كان خطرًا وكان الدم يسيل بغزارة · فانحنى ابوه نحوه ليقبله قُبلة الوداع وكان رصاص العدو ينهل كالمطر · فقال له روجير بصوتٍ خافت : «رُحماك ابي قُل لي قبل ان اموت اسم عائلتي · ما هو الاسم الذي وعد ان يُعلمني به الكولونيل ، الاسم الذي سيُحفَر على صليب قبري · · هذه دقائقي الاخيرة · · · وللحال سقط لويس فوق جسم ابنه وقد اخترقت رصاصة صدرهُ · · · فقال له والدم يسيل من جرحه : «اسمُك ! اسمك روجير بِرْس · والدتك لوسي توفيت غمًّا لاني أبِقتُ فارًا من وطني وهذه الراهبة هي اختك» · فصرخ الولد : «ربَّاهُ · · · يا لتعسي · · افانا ابنُ لرجل آبقٍ · · وسقط كلاهما بلا حراك»

فانفجرت الدموع من عيني الراهبة · وكانت تنظر من الاب الى الابن بحيرة وهي لا تدري ماذا تقول : برس ! لويس ! روجير ! لوسي ! لقد حزرت ! لقد فهمت ان ما هما بنفسهما · · ابي واخي ! · · أخذ الفجر يلوح وقد سُمع من بعد صوت النشيد الافرنسي فلجأ من بقي من الثوَّار الى الفرار · · ·

نزل قائدٌ عن جواده يسنده اربعة من الرجال · فوجدوا رجلًا مخضَّباً بدمائه معصوباً رأسه مربوطاً كتفهُ · وكان هناك على الحضيض امرأة مضرَّجة بالدم ايضاً راكعة بين رجلين لا حراك فيهما وكان الدخان لا يزال ينبعث من بقايا حصن او مركز كوانراهو

كان مجيءُ الكولونيل ده مارسِلي قياماً بوعده ولكي ينثر على رؤوس الملا شهامة ومروءة وبسالة آل برس ويخلصهم من الخطر عند اشتداده ويكشف لهم السر الغامض الذي كان يدمي افئدتهم · وقد سبَّر غوره بما بذله من العناء والتدقيق مدة ثلاث سنين · ولكنَّ وصوله هناك ليكشفهُ كان متأخرًا

فاصطفَّ جنود الكولونيل حوالي المتنازعَين اللذين كانا الى جانبي ابنة المحبَّة · ثم

اقترب الكولونيل فكشف عن رأسه امامها. وكان من لويس حينئذٍ ان صحا قليلاً. فما شاهد امامهُ قائدهُ حتَّى اهتزَّ طرباً ثم مدَّ نحوه بابتسام وافتخار علماً كان ملفوفاً على يده. فتقلَّم الكولونيل من على صدره وسامهُ العسكري وركع فعلَّقهُ على صدر لويس ثم نهض وصرخ بجنوده: «ايها الجنود اعرضوا السلاح امام فقيد الوطن». ثم عدَّد مناقب لويس وختم قائلاً: «الجندي لويس برس منذ اليوم كابورال الفرقة الاجنبية لانه كان في حرب السبعين قد خلَّص من بين ايدي البروسيان قائداً وعلماً من جيش بورباكي...» فتح الملازم روجيه عينيه عند سماع كلمات حرب السبعين وبورباكي. وقد تلألأ وجههُ سروراً فأجهد بنفسه حتى وصل نحو ابيه فعانقه وهو يقول: «حرب السبعين.. بورباكي.. فأبي اذاً لم يكن آبقاً!..» وسقط رأسهُ بثقله فلصقت شفتاه بالوسام العسكري الذي تعلق على صدر ابيه. ثم صرخ: «أماه لوسي!..» وأسلم كلاهما الروح.... لم يستطع الكولونيل ولا جنوده ان يصدوا دموعهم عن جريها لدى ذلك المشهد المؤثر. على انَّ القائد استظهر على عواطفهِ وكمَّل مهمَّتهُ قائلاً: «لويس برس سقط في ساحة الشرف. فنكسوا له سلاحكم ولقوهُ بهذا العلم المجيد الـذي قذف بنفسه الى الموت مرَّتين في سبيله، ومرَّتين خلَّصهُ من بين ايدي الاعداء». ثم اشار الى البطل الثاني قائلاً: «والقائد روجيه بطل مجهول الكنية حتى اليوم. ولكنَّكم ستدفنونه في حفرةٍ واحدةٍ مع ابيه وتنقشون على صليب تضعونـه فوق الضريح: لويس وروجيه برس بطلان افرنسيان»

اجتثَّت النجدةُ في ذلك اليوم نفسه دابرَ الثوَّار فطهَّرت البقعة من آثارهم وأمنت الحدود الفرنسوية...

خيَّم الغسقُ في تلك الارجاء. وكنتَ ترى راهبةً راكعةً امام صليبٍ بالقرب من ضريحٍ جديد تتلو سبحتها وتستمطر الرحمة من السماء للراقدَين. بينما كان النسيم يُحرِّكُ رؤوس الاشجار والطيور تُغرِّد فوق الافنان. وهنالكَ على بُعد بضع خطوات كان العلَم المثلَّث الالوان يتموَّج من جديد في الفضاء كواعظٍ ينبئ بلسان حالهِ اهل الارض بأن مَن بذل نفسهُ في سبيل الله والوطن حيٌّ في لحدهِ لا يموت!

المدافع البعيدة المرمى

نقل مسامي اجتماعي للاب رفائيل نخله

قد أحدثت الحرب الكونية الضروس من العجائب والغرائب ما يشيب لهوله الاطفال. فكأنها استدعت كل العلوم والفنون العصرية المُتقنة باختبار عشرات من الاجيال فسخّرتها لابتداع اقوى الذرائع لإزهاق الارواح وتدمير البلاد العامرة. والحقُّ يقال انَّ تلك الغاية الجهنَّمية قد تحققت على وجهٍ لم يُعهد لروعهِ من مثيل على ممرّ العصور الخوالي

ومن اعجب واقدر وسائط التخريب المبتكرة اوائذ المدافع الالمانية البعيدة المَرْمى فرأينا ان نجمع كل ما توفّر لدينا من المعلومات الموثوق بها لنسج بردة هذه المقالة التي قسمناها لزيادة الايضاح ابواباً ثلاثة وهي: اولًا ضرب باريس بالمدافع البعيدة المرمى سنة ١٩١٨ – ثانياً المبادئ العلمية التي تستند اليها تلك المدافع ثالثاً تطبيق هذه المبادئ في المدفع الجبّاري «برتا». والله المسؤول ان يساعدنا على ايضاح محتويات هذا الموضوع الكثير الشاكل على نمط يروق للقرّاء ويلذّ لهم

١ ضرب باريس بالمدافع البعيدة المرمى سنة ١٩١٨

نهضت باريس في صباح ٢٣ آذار ١٩١٨ بشرّ حالة من الهلع واليأس ومئات الآلاف من سكانها في هرج ومرج كأنهم بُوغتوا بالدمار العاجل الذي لا مناص من اهوالهِ. على انهم كانوا قد اعتادوا طويلًا قبل ذلك اليوم على تحليق الطيارات الالمانية في جوّ عاصمتهم وهي تلقي من علُ القنابل القتّالة ولا يخشون ما يتهدّد كيانهم من الاخطار. فليت شعري ما كان داعي ارتعاد فرائص الباريسيين في ذلك اليوم المشؤوم الذي صحّ فيهِ قول شاعرنا خليل بك مطران في وصف معركة يانا الشهيرة التي انتصر فيها نابليون على جيش بروسية الجرّار انتصارًا مبيناً سنة ١٨٠٦:

فهُ يوم قد تقادم عهده فيها وظلّ يَروع كل فؤاد!

وكان السبب الذي جعل اهل باريس يقومون ويقعدون يُرغون ويزبدون ضربَ الالمان عاصمتهم المرة الاولى بقنابل اطلقتها مدفعهم من مسافة نحو مائة وعشرين كيلومتراً ا وكانت جبهة جيش العدو في ذلك العهد على بعد مائة كيلومتر ونيّف من باريس . ولم يَحُمْ ادنى شكٍّ على البعد العظيم لموقع المدفع الالماني الشهير باسم بِرْتا (Bertha) اذ تحقق الاختصاصيون العلماء بفحص امكنة سقوط القنابل في العاصمة وخطّ كلٍّ منها في الجوّ الباريسي . فبعد ان رسموا تلك الخطوط على الخارطة تأكدوا انَّ مصدرها — وهي غير متحاذية طبعاً — في ضواحي سان غوبان (S^t Gobain) على مسافة ١٢٢ كيلومتراً من العاصمة بخط مستقيم (١ . ثم أثبت رأيهم بعد أيام قليلة اكتشافُ بعض الطيارين الفرنسويين لموقع المدفع الجبّاري بِرْتا رغماً من محاولة الالمان اخفاءه عنهم باصعاد غيم اصطناعي فوقهُ وفي ذلك من الدهاء والغرابة ما فيه !

قال العالم نُردمَن في مقالة نشرها بمجلّة العالَمين على اثر ضرب باريس بتلك القنابل المريعة : ان اهل العاصمة لم يتأثروا لحادث مفاجئٍ ذي علاقة بالعلوم مثل تأثرهم في ٢٣ آذار ١٩١٨ ، اللهمّ الّا ما اصابهم من الروع قبل ذلك بثماني سنين ، نعني لما شاهدوا مذنَّب هالّه (Halley) ينهب الفضاء في سمائهم

(١) القنبلة الاولى التي صوّبها المدفع برتا على باريس سقطت في الناحية الفرنسوية على شاطئ نهر السين في ٢٣ آذار الساعة السابعة وربع صباحاً . وفي هذا النهار تعاقبت القذائف كل ربع ساعة تقريباً وقد انحدرت في ١٨ جهة مختلفة . واستمرّ الضرب في الايام التالية وما لبث ان قلّ تواتره . وفي يوم جمعة الآلام الواقع في ٢٩ آذار لم يرموا غير قنبلة واحدة الّا انها اصابت كنيسة القديس جرفاسيوس فسبّبت انهيار جانبٍ من عقدها فقُتل تحت الحجارة والردم ٧٩ شخصاً وجرح ٩٠ . وبعد ٣٠ آذار قلّت القنابل بل زالت في بعض الايام ثم احتجبت شهراً كاملاً من ٢٧ نيسان الى ٢٧ ايار . ومن هذا اليوم الاخير حتى ١٠ حزيران انحدرت على باريس آونة بعد اخرى قليلة العدد . وغابت ثانيةً من ١٠ حزيران الى ١٥ تموز وكان ٩ آب اليوم الاخير لضرب باريس بقنابل المدفع الجبّاري . امّا عدد ايام الضرب فاربعة واربعون بين ٢٣ آذار و ٩ آب ١٩١٨ . وقد سقط في تلك المدة ٣٠٣ قذائف منها ١٨٣ على باريس و ١٢٠ على ضواحيها . وقد ذهبت بحياة ٢٥٦ شخصاً وجرحت ٦٢٠ . أمّا مجموع القذائف التي رماها راكبو الطيّارات والمناطيد الالمانية من طرز زبلين فبلغ طول الحرب ٧٤٦ قذيفة قتلت ٢٦٦ شخصاً وجرحت ٦٠٣

كان الالمان ستتين قبل ضرب باريس قد ضربوا دُنكرك من بعد ٣٨ كيلومتراً فأنكر سوادُ الفرنسويين صحّة الخبر وكذبوا الاسر كلَّ التكذيب حتى ألجئوا الى الاعتراف بحقيقته في رغم انوفهم . فحدّث ولا حرج عن دهشهم وانقطاع قلوبهم خوفاً يوم تأكد لهم انهُ علماءهم ان المدفع الجاري المصوَّب قنابلهُ الى باريس واقع على مسافة ١٢٠ كيلومتراً فأتى تحقيق الطيارين مثبتاً لحكمهم . وقد بلغ سيل هلعهم الزُّبى حين سقطت احدى قنابل برثا على كنيسة كبرى يوم جمعة الآلام والشعب مجتمع لحضور الرتب الدينية

على ان اجماع العلماء في تحديد بُعد المدفع الالماني لم يمنع التضارُب الشديد في آرائهم حتى ضمن الدوائر العلميَّة بخصوص تركيب ذلك المدفع وشكل قنبلته والمبادئ النظرية والعملية التي يستند عليها كلاهما . ولولا ضيق المقام لسردنا كل النظريات الغريبة التي اولدتها عقول جهابذة باريس على اثر حوادث ٢٣ آذار الهائلة المرّة فحسبُنا ايراد بعضها بصفة امثلة يُقاس عليها بل نُرجم ما كتسناه منها حرصاً على الايجاز المفيد

فمن قائل ان قنابل ذلك النهار المشؤوم لم يُطلقها مدفعٌ واقع في جيش الالمان بل القتها طيّارة مُحلقة فوق باريس وقد حجبها عن الانظار (أو كاد) ارتفاعها العظيم ولونها المحاكي زرقة السماء . ومن قائل ان تلك القنابل هي في الواقع مصوَّبة الى العاصمة من مدفع شديد البعد انما سرُّ قطعها المسافة المنيفة على مائة كيلومتر ان كلّا منها بمثابة مدفع صغير يطلقه المدفع الكبير فتى بلغ الاول النقطة المتوسطة بين طرفي الشقّة الطويلة التهبَ سهمٌ ناريٌ مناط به فتترتّب على ذلك اطلاق قنبلة أخرى تطوي ما بقي من المسافة حتى باريس . ومن قائل ان في مؤخَّر كل قنبلة مستودع بارود لا منفذ له الّا في طرفها الخلفي وهو يلتهب شيئاً فشيئاً طول مدة السير فينتج من سرعته وقوة بروزه عكسُ فعلٍ يعني ضغطاً شديداً متجهاً من الوراء الى الامام . وهو الذي في رأي اصحاب هذه النظرية يَزيد بسرعة القنبلة فيمكنها من الوصول الى مرمًى هيهات ان تدركه على الطريقة المعتادة . ومن قائل ان كل قنبلة مصوغة على شكل طوربيل هوائي يماثل رصيفهُ البحريّ الصادر من الغوّاصات بحركة ذاتية تدوم ما دام سيرهُ وتنتهي سرعته انتهاء يُعتدُّ به

فذلك ايا القارئ اللبيب حفنةٌ من كثيب النظريات الغريبة التي تمخضت بها عقول علماء باريس المعدودين في ذلك العهد فتداولتها الالسن ونسجت عليها الجرائد والمجلّات مقالات ضافية الذيول ثبت بعدئذٍ انها لغطٌ وهذيان من ألفها الى يائها

على ان الانصاف يقضي علينا في هذا المقام باستثناء نفر بين جهابذة العاصمة الفرنسوية الذين لم ينخدعوا بمثل النظريات الواهنة الفاسدة السابق ذكرها . وفي مقدّمة هؤلاء العلماء ذوي النظر البعيد الثاقب الذين لم ينقادوا كالغنم الى الاضاليل الشائعة اوانئذ بين العامّة والخاصّة المسيو جورج كلود(G. Claude) الشهير باختراع طريقة سهلة لاصطناع الهواء المائع ، والفلكي الالمعي شرل نُردمن الذي نوّهنا به غير مرة في مقالاتنا السابقة ولاسيا المتعلقة بعلم الهيئة . ان هذا العلّامة قد فند بالادلّة النيّرة الدامغة اشهر النظريات الكاذبة في عدد مجلة العالمين الصادر بتاريخ ١٥ نيسان ١٩١٨ نعني بعد فترة يسيرة من سقوط القنابل الجهنمية التي طارت لها شعاعاً افئدة مئات الآلاف من الباريسيين ثم ختم احتجاجهُ على الاوهام المصطبغة بصبغة العلم قائلًا ما ترجمته الحرفيّة :

« لم يبق إذًا في آخر الامر سوى كون القنابل الساقطة على باريس وضواحيها هي صادرة حتمًا من مدفع واقع في جيش العدو ذي عيار مساوٍ لعيارها »

ثم أبطل دهشة المدهوشين المستغربين لعمل قنابل آتية من بُعد نحو ١٢٠ كيلومترًا كيف لا تخطئ مرماها فقال لا فُضّ فوهُ :

« ينبغي علينا الّا نسهو عن كون معدّل قُطر الدائرة الباريسية عشرة كيلومترات . أجل ان ادراك مرمى عرضُهُ عشرة امتار من مسافة مائة وعشرين مترًا لأيسر من ادراك مرمى عرضهُ عشرة كيلومترات من مسافة مائة وعشرين كيلومترًا . بيد ان صعوبة الامر الاخير لا تزيد على الاخرى زيادة جسيمة »

فهلُمّ بنا بعد هذه الممهّدات التاريخية التي فيها عبرٌ للمعتبر وتفكهة للمطالع نحاول الولوج الى كبد موضوعنا بكشف طرف الحجاب عن المبادئ العلمية للمدافع البعيدة المرمى باذلين القصارى في عرضها على اقرب منوال دون انتقاص شيء مما يستوجبه البحث العلمي المحض

٢ المبادئ العلمية للمدافع البعيدة المرمى

كل هذه المبادئ متعلقة باحد الامور الاربعة التالية وهي : نوع البارود وشكل

المدفع وكيفية القنبلة ثم درجة ميلان انبوب المدفع على السطح الأفقي عند اطلاقه

﴿ ١ نوع البارود ﴾ من البديهي ان نوع البارود من جوهريات المدافع البعيدة المرمى حيث ان القوة المحركة للقنبلة ناجمة عن ضغط الابخرة المتكونة على اثر التهاب البارود. فبنسبة زيادة هذا الضغط تزيد سرعة القنبلة عند خروجها من فوهة المدفع فتمكنها من ادراك مرمى أقصى. على اننا نؤثر عدم التوغل في شأن بارود الجبار برمتا وذلك نظرا لوعورة هذا المبحث الكيماوي وتفادياً من سأم القراء بتفاصيل عويصة يستطيلونها كشهر الصيام فنكتفي بالاشارة الى ان البارود النيتروسيلولوزي (nitrocellulosique) او النيتروغليسريني (nitroglycérinée) الذي جرى استعماله اثناء الحرب الكونية كانت ابخرته بانفجاره يمكنها ان تحدث ضغطاً يتراوح مقداره بين ٣٠،٠٠٠ و ٣٠،٠٠٠ كيلوغرام على كل سنتيمتر مربع من القذيفة. وفي ذلك ما يكفي لاطلاق قنبلة وزنها مائتا كيلوغرام بسرعة متراوحة بين ١،٢٥٠ و ١،٣٠٠ متر في الثانية. فيتضح ان مثل هذا الضغط الهائل يقتضي في المدافع البعيدة المرمى ضخامة شديدة لجوانب انبوبها لئلا تنفجر وتتحطم كالزجاج اثناء الاطلاق. ويستنتج من ذلك ضرورة ثقل رائع في المدافع المذكورة لقيامها بوظيفتها دون التعرض لخطر دائم

﴿ ٢ شكل المدفع ﴾ سبق لنا القول — والامر لا شبهة فيه — ان القوة المحركة للقنبلة هي ضغط ابخرة البارود المخزون في مؤخر القذيفة. ويلزم حساب مدة التهاب البارود بحيث تساوي دون نقص ولا زيادة مدة انتقال القنبلة من مؤخر انبوب المدفع الى فوهته. وتعليل ذلك الاحتياط واضح للمتروي. فعلى فرض التهاب البارود بعد خروج القذيفة من فوهة المدفع لا يبقى فائدة ترجى من ذلك الالتهاب. وعلى فرض انقطاعه قبل خروجها لا جدوى في إطالة انبوب المدفع والغاية الوحيدة المقصودة منها هي اطالة مدة ضغط الابخرة البارودية على القنبلة لتزيد سرعة هذه القنبلة عند انطلاقها من الفوهة. فيترتب على الملحوظات السابقة ان بعد المرمى يزيد بنسبة طول انبوب المدفع. بيد ان في الامر حداً لا يتجاوز وراءه لئلا يزيد ثقل المدفع زيادة تحول دون سهولة نقله الى ساحات الوغى وسهولة تركيزه على اساس راسخ الى غير ذلك من المحاذير الذاهبة بكل فائدته

وقد زاد طول الانابيب من اواسط الجيل المنصرم الى ايامنا زيادة لم تدرْ على خلَد فانه كثيراً ما يبلغ في المدافع البحرية — وكانت اعظم المدافع حتى الحرب الكونية — ستين ضعف عيار القنبلة . مثال ذلك ان طول أضخمها بفرنسة يناهز ثلاثة وعشرين متراً وعيارها ٣٨٠ ميلمتراً

﴿٣ كيفية القنابل﴾ أبنّا فيما سبق خطير شأن طول الانبوب في المدافع البعيدة المرمى وليس حجمُ القذيفة وشكلها اقلَّ اهميةً كما سيتضح من الاعتبارات الآتية

من البديهي ان القنبلة الخارجة من فوهة مدفع بسرعة معلومة قادرة على ادراك مرمى بعيد على قدر محافظتها على تلك السرعة الاصلية التي لا يزال الهواء بمقاومته عاملاً على إنتقاصها ، كما نرى في الاجهزة المؤمِّنة للسقوط (parachute) الجاري استعمالها في ايامنا . والحالة هذه فالعلمُ النظري والتجارب المتعددة صوتٌ واحد في اثبات الحقيقة التالية وهي : ان أطلقت قذيفتان متساويتان شكلاً وسرعةً من فوهة مدفع واحد فأثقلهما تُدرك المرمى الابعد . ولابدع فان القوة الميكانيكية المخزونة في القذيفة اثناء سيرها — وبنوع أعمَّ في كل جرم متحرك اثناء حركته — تزيد بنسبة الحاصل الناتج من ضرب الثِقَل بمربَّع السرعة كما يؤيدهُ الحساب والاختبار . ومن ثمَّ لو طرحنا من نافذة عالية على الارض بقوة واحدة كلّتين متساويتين شكلاً احداهما من ورق مضغوط والاخرى من حديد ، رأينا هذه ادركت الحضيض قبل رصيفتها بثوانٍ . ولذلك ايضاً نرى القُطَيرات المائية التي تتكوَّن منها السُحُب — فليست هذه مجموع ابخرة متلبدة كما يتوهم سواد الناس — تنحدر نحو الارض بغاية البطء فنحسبها لا تتحرك بسوى فعل الارياح . بيد انها اذا كبرت وثقلت بانضمام بعضها الى بعض هبطت على وجه البسيطة بسرعة محسوسة في الامطار

قد لاحظ من بضعة اجيال صانعو المدافع زيادة بُعد مرمى القذائف بنسبة ثقلها فاخرجوا ذلك المبدأ الى حيز العمل بصوغ تلك المدافع الهائلة الضخامة التي نشاهدها بعين الدهشة في كثير من المتاحف ولا سيَّما الاوربية . فمنذ الجيل الخامس عشر بلغ وزن القذائف نحو مائتي كيلوغرام . وقد صيغ حول السنة ١٤٥٠ بمدينة غان (Gand) الواقعة في بلجكة حاضراً مدفع تزن كلته ٣٦٠ كيلوغراماً . وكان احد مدافع دوق بُورغندية (١٦٨٢—١٧١٢) حفيد ملك فرنسة المجيد لويس

الرابع عشر يُطلق كُللاً وزن كلّ منها ٤٥٠ كيلوغراماً . وقد تيسّر للمدفعيّين منذ الجيل السادس عشر ان يرموا قذائفهم الى بعد ١٥٠٠ متر بوسيلة زيادة ثقلها . والمسافة المشار اليها كانت اعجوبة في بابها نظراً الى حالة العلوم الطبيعية في ذلك العهد البعيد . واذا آثر القرّاء امثلة من هذا القبيل مُنتقاة من جيلنا الحاضر فهاك بعضاً من عدّها . ان المدفع الالماني من عيار ٢٨٠ ميليمتراً ذو قنبلة وزنها ٣٤٠ كيلوغراماً ، وهي تقطع نحو عشرة كيلومترات حتى باوغ مرماها مع ان سرعتها الاصلية دون ٣٥٠ متراً في الثانية ، وذلك يسيرٌ في ابابنا . اما قنبلة المدفع الفرنسوي ذي عيار ٧٥ فمع كون سرعتها الاصلية نحو ٥٠٠ متر فانها لا تجتاز سوى نصف المسافة السابقة اعني خمسة كيلومترات ليس الّا ، وذلك لكون وزنها لا يبلغ سوى بضعة كيلوغرامات عوضاً عن ٣٤٠ في المدفع الالماني

وهذا اختبار بسيط يوقفك من اول وهلة على عظم تأثير ثقل القذيفة في بُعد مرماها . خذ حجراً مستديراً وارمهِ على خط مستقيم امامك بكل قوّة زندك ثم أعد الرَّمي بقطعة خشب منحوتة بحجم الحجر وعلى ذات شكله فتلاحظ انها تُقصِر تقصيراً يُذكر عن مرمى رصيفتها

على ان زيادة وزن القذائف تزيد ايضاً مقاومة الهواء لسير القنبلة فتُضيع الدفعي بشاليا ما كسبهُ بيمينهِ . الّا ان لهذا الحلّ علاجاً شافياً هو غاية في البساطة والفاعلية وذلك باطالة القنبلة بدون زيادة قُطرها . فيترتب على ذلك ان مقاومة الهواء المتجهة كلها تقريباً الى رأس القذيفة لا تنمو نمواً يُذكر . فبناء على هذا المبدأ الواضح قد عدل صانع المدافع عن الكلل الكُرويَّة المستخدمة وحدها في الاجيال الغابرة الى القنابل المستطيلة الاسطوانيَّة الغالب استعالها في ايامنا وهي الموسومة في فرنسة باسم أوبوس (obus) تمييزاً عن الكلل (boulets) . فقنبلة المدفع الفرنسوي من عيار ٧٥ ميليمتراً يبلغ وزنها اربعة اضعاف وزن كلّة من نفس ذلك العيار ومع ذلك فمقاومة الهواء لسير الاولى تكاد لا تزيد عمّا تصادفهُ الكلّة

وقد فهمتْ شركات الملاحة المبدأ الذي نحن في صدده . فلما همّتْ بتعمير اضخم بواخرها وارادت الجمع والتوفيق بين الضخامة الجارية ومعظم السرعة زادت طول السفن زيادة شديدة ولم تزد عَرضها الّا يسيراً . وعلى هذا المنوال أدركت غايتين

متناقضتين في عين الناظر الى قشر المَنات دون لبابها · ولك مثال عن صدق قولنا في الطرّاد هود الانكليزي الذي محموله ٤١،٢٠٠ طنّ وطوله نحو ٢٦٢ متراً فهو مع ضخامة هذه البالغة يقطع في الساعة ٣١ عقدة نعني اكثر من ٥٧ كيلومتراً

﴿ ٤ درجة مَيلان انبوب المدفع عند الاطلاق ﴾ · كشفنا في الصحائف السابقة اهمية شكل المدفع وصفات قذائفه فلم يبق الآن سوى البحث في العامل الجوهري الاخير للمدافع البعيدة المرمى وهو الذي صدَّرنا به هذا الفصل من مقالتنا

من المعلوم ان بُعد مرمى قذيفةٍ معلومة يزيد او ينقص وفقاً لـدرجة مَيلان الانبوب المدفعي على السطح الافقي وتسمى تلك الزاوية في لسان الفنيين زاوية الاطلاق(angle de tir) · واذا ضربنا صفحاً عن وجود الهواء ومقاومتهِ لسير القنبلة فمعظم بُعد المرمى يُنال بجعل زاوية الاطلاق بمقداره ٤٥ درجة اي نصف الزاوية القائمة · فعلى افتراض تحقُّق ذلك الشرط يبلغ معظم بعد المرمى (١ :

٣٨	كيلومتراً	في المدفع	المُطلِق قنبلته بسرعة	٥٠٠	متر في الثانية
٣٦	"	"	"	٦٠٠	"
٦٤	"	"	"	٨٠٠	"
٨١	"	"	"	٩٠٠	"
١٤٤	"	"	"	١٢٠٠	"
٢٥٦	"	"	"	١٦٠٠	"

نضيف الى الجدول السابق ملحوظات وجيزة وهي ان سرعة ١٢٠٠ متر في الثانية قد بلغتها من سنين عديدة قنابل اكبر المدافع البحرية وان سرعة قنبلة المدفع الجباري الالماني برتا تُقدَّر بنحو ١٤٦٠ متراً · امّا سرعة ١٦٠٠ متر في الثانية التي ختمنا بها الجدول فلم يتحقق لدينا وجودها وان أشاعت بعض الجرائد والمجلات خبر مخترع اميركي توصّل الى اطلاق قنبلة بسرعة ٢٢٠٠ متر في الثانية ومُعظم بعد مرماها

١) ترفّ الى القراء طريقة سهلة لحساب معظم بُعد مرمى مدفع معلوم بفرض معرفة سرعة قنبلته عند خروجها من الفوهة : عدد الكيلومترات في معظم بعد المرمى يساوي تقريباً مربَّع عدد مئات الامتار في سرعة القذيفة . ويتضح ذلك من اول وهلة لمن يعاين الجدول السابق بعض الانتباه

ثلاثمائة ميل انكليزي اي نحو ٤٨٣ كيلومترًا ، نعني اربعة اضعاف ما بلغ اليه المدفع برتا الضارب باريس من مسافة زهاء ١٢٠ كيلومترًا. فلننتظر ريثما يُطلعنا المستقبل على نصيب تلك الاشاعة الغريبة لئلا تكون « فكاهة اميريكية »

مدار كلامنا حتى الآن على النسبة الحسابية الواقعة بين سرعة القذيفة ومعظم بُعد مرماها على فرض عدم مقاومة الهواء لسيرها ، او بتعبير آخر على فرض عدم وجوده . ولما كان ذلك الافتراض خيالي مستحيل فلا بدع ان تُنقص مقاومةُ الهواء مُعظم بعد المرمى انتقاصاً تابعاً لعوامل شتى اهمها سرعة القذيفة وعيارها وثقلها وشكلها . وعلى ذلك المبدأ أسندنا كثيراً من اعتباراتنا السابقة لتلك العوامل . فالمدفع الفرنسوي من عيار ٧٥ ميلمترًا المطلق قنبلته بسرعة ٥٤٠ مترًا في الثانية يبلغ معظم بُعد مرماه ليس ٢٨ كيلومترًا كما في الجدول السابق بل زهاء ٩ كيلومترات فتأمل !

ولكن هل من وسيلة تقلّل مقاومة الهواء بدرجة تجعلها في حكم ما لا يُعتدّ به ؟ أجل فان الباريْ سبحانه وتعالى قدّر العقل البشري على استنباط دواء لكل داء وعلاج لكل مشكل . والوسيلة المرغوبة هي نفس التي تذرّع بها الالمان في ٢٣ آذار ١٩١٨ حين ضربوا باريس من بعد نحو ١٢٠ كيلومترًا . وهي قائمة في جعل انفراج زاوية الاطلاق — اي درجة ميلان انبوب المدفع على السطح الافقي — فوق ٤٥ درجة . وهذا قياس الزاوية المطلوبة لإدراك معظم بُعد المرمى بفرض عدم وجود الهواء . اما تعليل هذه الزيادة فلا اسهل منه فانها تمكّن القذيفة من اختراق كثافة الجوّ على طريق اقصر لانه اقرب الى الوجهة العامودية . وان صحّ ما ارتآه بعض ائمة العلماء مثل بيو(Biot) وبوسنغو(Boussingault) وهمبلت(Humboldt) الذين يقدّرون كثافة جونا بزهاء ٤٥ كيلومترًا (١ فانّ القذيفة المطلقة من المدفع بوجهة ادنى الى العامودية منها الى الافقية تجتاز هذه المسافة كالبرق الخاطف في نحو نصف دقيقة (بجعل سرعتها ١٥٠٠ متر في الثانية) ثم تواصل سيرها في فضاء خالٍ

١) وفقاً لحسابات العالم الفرنسوي لپلاس(Laplace) بشأن ثقل الهواء النوعي في طبقات الجو المختلفة ، نرى ان مقاومة الهواء في علوّ ١٨ كيلومترًا توازي نحو $\frac{١}{١٠٠}$ من مقدارها على سطح الارض . اما في علوّ ٣٠ كيلومترًا فلا تزيد على $\frac{١}{١٥٠٠}$

تقرب من الهواء . تصبح المقاومة هنالك عدماً او في حكم العدم . فيترتب على ذلك زيادة عظيمة في بعد المرمى

٣ تطبيق المبادئ السابقة في المدفع الجباري برتا

كل المبادئ السابق شرحها التي تُمكّن من رمي القذائف الى مسافات بعيدة للغاية كانت معروفة إجمالًا او تفصيلًا قبل ضرب الالمان لباريس بمدفعهم الجباري برتا . وانّما فضلهم في تجهيز ذلك المدفع الرائع بكونهم درسوا كلّاً واحد من تلك المبادئ درساً عميقاً قدّرهم على إخراجه الى حيز العمل باقصى درجات الكمال اذ ادّى بهم تطبيقُها كلها الى نتيجة باهرة لم تكن في الحسبان ، حتى قضى منها العجب ذات اساطين فنّ رمي القذائف في فرنسة بل في كل الامصار . وها نحن نورد بعض الايضاحات على كيفية تطبيق الالمان لكل من المبادئ التي سردناها في الصحائف السابقة على النسق المتّبع آنفاً

﴿ ١ نوع البارود وشكل المدفع ﴾ يقدّر الفنّيون الفرنسويون طول المدفع برتا بنحو ثلاثين متراً ولا يتعدّى ذلك حدود المعقول فقد سبق لنا القول ان اضخم المدافع البحرية الفرنسوية يبلغ طولها نحو ثلاثة وعشرين متراً وشتّان ما بينها وبين الجبّار الالماني بخصوص بُعد المرمى . اما نوع البارود المستعمل في برتا فهو مجهول على الارجح في فرنسة ويزعم الإختصاصيون انه ربّما كان جوهره النيتروغليسرين . وهي ركنٌ لكثير من اشدّ الموادّ المتفجرة . وان كانت نظراً الى خواصها الكيماوية تقرض شيئاً فشيئاً معدن انبوب المدفع فهي اذا مُزجت بالفازلين او البلومباجين تُدهِن داخل الانبوب وتُنقص درجة حرارة ابخرة البارود انتقاصاً يُعتدّ به وهي مع ذلك تكاد لا تُزيل شيئاً من قوة ضغطها . وتنقيص الحرارة المذكورة شديد الخطورة حيث يقي المدفع من محاذير الانفجار او على الاقل من آفات التلف العاجل

وما ادراك يا صاح مقدار ضغط ابخرة هذا البارود الهائل في المدفع برتا ؟ قد ذهب نفر من الخبراء الفرنسويين الى انّ ضغطها يبلغ ٣٥،٠٠٠ كيلوغرام على كل سنتيمتر مربع من القنبلة ، ومن انبوب المدفع طبعاً ! ومعظم ما ادركه الضغط في المدافع الفرنسوية زهاء ثلاثة آلاف كيلوغرام . ولعمري ان تعليل الفرق العظيم بين

المدفعين انَّ برتا كانت ترمي قذائفها — ووزن الواحدة قُدّر بنحوِ مائة كيلوغرام — الى بعد زهاء مائة وعشرين كيلومترًا على خطّة متوسّطة يبلغ طولها نحوِ ١٥٠ كيلومترًا !

﴿ ٢ كيفية القنبلة ﴾ بيّنا في احد الفصول السابقة انه لا بد من قذيفة ثقيلة جدًّا لابلاغ بُعد المرمى الى اقصى درجاته . وقد احسن الالمان تطبيق هذا المبدأ حيث جعلوا وزن قنبلة برتا يناهز — على رأي الخبراء — مائة كيلوغرام

شرحنا ايضاً اهمية اطالة القذيفة بدون زيادة قطرها فوق حدٍّ معلوم ، وكلا الامرين يفضي الى تخفيف مقاومة الهواء لسيرها . والحال ان طول القنبلة الجبارية نحو خمسين سنتيمترًا ويكسوها في مقدَّمها شبه طرطور مذدّب من الحديد المصفَّح له مثل الطول السابق ، وغايته تسهيل خرق القنبلة للهواء . وعلى ذلك يكون مجموع طول القذيفة وطرطورها زهاء متر . امّا قطرها او عيارها فيقدَّر بنحو ٢١٠ ميلمترات اي نحو خُمس طول القنبلة الكاملة . ومن المرجَّح ان معدن القنبلة هو الفولاذ الممزوج بالفاناديوم وهو معدن ابيض بلّوري يبلغ ثقله النوعي ٥٫٥ اضعاف ثقل الماء وهو يمتزج على الاخص بالاوكسيجين والهيدروجين والازوت وقد اكتُشف سنة ١٨٠١

ومُعدَّل سُمك جوانب القنبلة ٤ سنتيمترات وفي داخلها بيتان للبارود بينهما حاجز فيه عدّة ثقوب . والغرض من الفصل بينهما منع التهاب كل كمية البارود البالغة نحو ٩ كيلوغرامات فجأةً اذ قد اثبتَ الاختبار ان الاصوبَ جعل الالتهاب تدريجيًا فيزيد بذلك ضغط ابخرة البارود زيادة محسوسة . وحول القنبلة درعان من النحاس وفي مؤخّرها سهمان ناريّان لإيقاد البارود قُبيل انفجاره . امّا اتخاذهم لسهمين فذلك استدراكًا لتلف احدهما لسببٍ ما . وفي الواقع لم يوجد ، بين الثلاثمائة والثلاث القذائف المصوَّبة على باريس وضواحيها من المدفع برتا ، قذيفةٌ واحدة لم يلتهب سهماها الناريّان فبلغت مرماها بدون انفجار

ثم انَّ على درع النحاس الخارجي المحيط بقنبلة برتا اخاديدَ متحاذية لولبيّةَ الشكل توافق كل الموافقة خطوطًا لولبية ناتئة تدور على سطح داخل انبوب المدفع بحيث يندمج كلّ خطّ ناتئ في احد اخاديد القذائف . امّا فوائد تلك الاخاديد فهي :

اولًا ان ابخرة البارود الضاغطة على القنبلة عند الاطلاق تحركها فضلًا عن حركة الانتقال على خط مستقيم بحركة دوران حول محورها الوهمي وهذه ناجمة عن الاخاديد كما يتضح للمتروّي . وهي خطيرة الشأن لانها تُثبّت طول مدة سير القذيفة فتُثبت مركز ثقلها كما يقول الفنيون ، او بعبارة ابسط واوضح انها اقوى عامل — مع السرعة الشديدة — لمنع القنبلة من الحياد عن خطتها . وفي ذلك ما فيه من الاهمية الجوهرية ، ولاسيا اذا كان المرمى على بعد نحو مائة وعشرين كيلومترًا كما هو في واقع امر المدفع برتا . ثمّ للاخاديد فائدة اخرى جليلة الشأن وهي منع ابخرة البارود عند الاطلاق من التملّص بين جوانب القنبلة وما يحيط بها من جوانب انبوب المدفع وعلى هذا المنوال لا تضيع سدًى ذرّة واحدة من قوّة ضغط الابخرة . وكان الفرنسيون منذ خمسين سنة على الاقل قد درسوا قبل الالمان مفاعيل القنابل المحدّدة ﴿ ٣ درجة مَيَلان انبوب المدفع عند الاطلاق ﴾ . اوردنا في احد الابواب الآنفة ان شدّة بعد المرمى تقتضي جعل زاوية الاطلاق (اي مقدار ميلان انبوب المدفع على السطح الافقي) فوق ٤٥ درجة ، وذلك لاصعاد القذيفة على اقصر ما يمكن من الخطوط الى طبقات الجو المرتفعة فوق عشرين كيلومترًا إذ يتخلّل الهواء الى درجة تجعل مقاومته لسير القنبلة في حكم ما لا يُحسب له حساب . وقد عمل الالمان بمقتضى هذا المبدأ الجوهري في استخدام مدفعهم الجبّاري . وكفى شاهدًا على ذلك ما فاه به اثناء ضرب باريس الجنرال رونه (Rohne) — وهو من اشهر كتّابهم الحربيين — في مقالة له بالمجلة «فوسيشه تسايتُنغ» (Vossische Zeitung) . قال في معرض كلامه عن المدفع برتا «ان زاوية الاطلاق مقدارها خمس وخمسون درجة وان السرعة الاصلية للقذيفة ١،٤٦٠ مترًا ومعظم ارتفاعها في الجوّ ٢٩ كيلومترًا . وهي تقطع على خطتها المتوسّطة شوطًا يزيد طوله على مائة وخمسين كيلومترًا في مدّة تتراوح حسب الظروف بين دقيقتين ونصف وثلاث دقائق فيكون معدّل السرعة ثمانمائة متر في الثانية !»

***

فيرى القرّاء ان الالمان درسوا كلّ مبادئ المدافع البعيدة المرمى ادقّ الدرس ثم جمعوها بَعد الحسابات والتجارب المتعدّدة واخرجوهـا كلّها الى حيّز العمل بالفين

بكل منها الى اقصى حدود الكمال (١ . وفي ذلك سرّ مدفعهم العجيب الذي راع دويُّهُ المُرعد ليس فقط قلوب مئات آلاف الباريسيين حتى كادت تنقطع من الخوف، بل وآلاف عقول نوابغ فرنسة النبيلة فحاروا كل الحيرة بازاء تلك القذائف الجهنميَّة عاجزين عن ادراك جميع اسرار بُعد مرماها . ولا غرو فان مخترعي برتا أنفسهم ما كانوا ليتوقَّعوا مقدار ذلك البعد الهائل . ولمَّا أجرَوا تجاربهم الاولى فتّشوا عن مسقَّط القذائف على بعد نحو ٥٠ كيلومترًا ليس الأ. فلم يجدوا لها اثرًا ثم واصلوا التنقيب والتنقير وما اشدَّ ما كانت دهشتهم اذ عثروا على قنبلة بلغَ بعدُ مرماها زهاء مائة كيلومتر

الحق يُقال اننا لا نتمالك ان نُعجب بطول باع الالمان في صنع ذلك المدفع المُرهب فقد برهنوا بذلك على عميق علمهم وبُعد نظرهم وطول اختبارهم . على اننا لا نتمالك ايضاً — اذا لازَمنا خطة الانصاف — ان نقبّح استخدامهم للمدفع الجباري برتا سنة ١٩١٨ لضرب باريس ، فان هـذا العمل والحقوق الدولية الحربية على طرفي نقيض . فمن مقتضيات هذه الحقوق انهُ لا يسوغ مطلقاً للمتحاربين تصويب قذائفهم الى غير الابنية الحربيَّة كالاسوار والقلاع والحصون ومخازن الذخائر او التي لها علاقة وثيقة بنجاح الحرب من مثل معامل الذخائر ومستودعات المِيَر وبعض محطات السكك الحديدية المهمَّة . اما ضَرب الكنائس والمدارس والمستشفيات والبيوت التي يسكنها النساء والاطفال والشيوخ فلا يسوغ لهم البتَّة بل هو جريمة فظيعة في عين الله والناس . والحال ان من يضرب مدينة كباريس — بل ايَّة مدينة كانت — من بُعد ١٢٠ كيلومترًا ونيف لا يستطيع ان يصوّب قذائفه الى الابنية السائغ ضربُها ويميّزها عن سواها . وعلى ذلك فقد ارتكب الالمان ظلماً فاحشاً في هـذا التعدّي

وبسبب الصعوبة الشديدة في تدمير الابنية الحربيّة عن بعد يفوق نحو ثلاثين كيلومترًا قد اعرض اساطين فنّ المدفعية في فرنسة وانكلترة وغيرهما عن حل مشكل رمي القذائف الى ما يفوق البُعد المذكور . وايمُ الحق حسنًا فعلوا بعدم التصدّي لما لا

---

١) انبأت الجرائد الانكليزية في اواخر ١٩٢١ ان الالمان اخترعوا رشّاشًا كهربائيًا يُطلق ألفيْ قنبلة في الدقيقة ويكتفي لاستخدامه رجل واحد. والله اعلم بحقيقة الامر

يمكن استعماله بدون اهتضام الحقوق الدوليّة . فما اجمل إحجام العالم عن تطبيق علمه وضابط القوى المادّية عن تسخيرها في غير ميدان الحق والعدالة والشرف وهي اسمى العواطف البشرية !

المخطوطات العربيّة لكتبة النصرانية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

١٣٩ ﴿ اندراوس اخيجان ﴾ هو اوّل بطاركة السريان الكاثوليك في القرن السابع عشر توفي في ١٤ تموز سنة ١٦٧٧ . له في مكتبة دير الشرفة في لبنان كتاب دحض الهرطقات ورسائل انتقاديّة على الطقوس مع بعض المخطوطات السريانيّة

١٤٠ ﴿ انطونيوس الكبير ﴾ هو ابو الرهبان المتوفى سنة ٣٥٦ م . ١ً ذكر له ابو البركات بن كبر في لائحة كتبه (Riedel, p. 647) «نيفاً وعشرين رسالة في ديره بالبرّية (اي الصعيد) قبطياً لم تعرب. ومن هذه الرسائل نسخة عربيّة في المكتبة الفاتيكانيّة (ع ٣٩٨) قال ابو البركات : « وفيها فوائد جليلة ووصايا جمّة نافعة » . ٢ً ثم ذكر له ابو البركات وصايا في قوانين الرهبنة وتدبير الرهبان . ٣ً وفي بعض مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة (المشرق ٩ [١٩٠٦] : ١٢٥) مقالات نافعة من قول القديس العظيم انطونيوس وغيره من الآباء (ص٢٥٣ — ٢٩٦) . ٤ً وفي مكتبتنا الشرقيّة ايضاً كتاب نسكيّات مار باسيليوس يليها « قصّة الاب العظيم في القديسين مار انطونيوس كوكب البرّية (ص ٢٨١—٣٩١) قريبة من ترجمة حياته للقديس اثناسيوس(Migne, PP. GG. XXVI, 235)ويلي الترجمة «تعاليم وقوانين القديس انطونيوس» (ص ٣٩١—٤٠٨) . وفي مكتبة الاسقفيّة الارثوذكسيّة في حلب سيرة القديس انطونيوس ضبطها معتمداً على العلماء القديسين مطران حلب الارثوذكسي اثناطيوس كربس . تاريخ النسخة ٢٣ شباط ١٧٩٥ (اطلب النعمة ١ : ٣٦٦) . ويُذكر للقديس انطونيوس في السريانيّة(ROC, XIV, 282-297)رسالة الاولى الى الاخوة

١٤١ ﴿انطونيوس الراهب﴾ كان ترهّب في سيق القديس سابا في فلسطين ثمَّ صار رئيساً على دير القديس سمعان العمودي القريب من انطاكية في القرن الثاني عشر . ١ قد عرَّب ١٠ ميمراً من ميامر القديس غريغوريوس الثاولوغوس . منهُ نسخة في مكتبة الثلثة الاقار في بيروت . كُتبت سنة ١٨٢٠ بيد نقولا ولد يوسف مخائيل جباره . ٢ ولهُ في مكتبة باريس (Mss. ar., Cod. 276. n° 1) محادثات مار غريغوريوس المذكور . ٣ لهُ في مكتبتنا الشرقيَّة وفي مكتبة الموارنة في حلب تعريب مقالات القديس يوحنَّا الدمشقي مع بعض رسائلهِ وترجمة حياتهِ . وهذه الترجمة قد نشرها حضرة الخوري قسطنطين الباشا ب .م . ٤ وفي المكتبة الفاتيكانيَّة لهُ تعريب ميامر القديس يوحنَّا فم الذهب على تفسير انجيل مار يوحنَّا تاريخ النسخة سنة ٦٧٥٩ للعالم الموافقة لسنة ١٢٥١ للمسيح اطلب المكتبة الشرقيَّة للسمعاني (BO., II, 517, n° 67)

انطونيوس (الاب اليسوعي) اطلب غوينار
(انطونيوس بن مبارك الجبيليّ) اطلب الجبيلي

١٤٢ ﴿انطون ابن القس دقّور﴾ كان في القرن الثامن عشر . في مكتبتنا الشرقيَّة كتاب طريق الملكوت يحتوي على ٣٠ تأمُّلاً في امور الخلاص وحياة السيد المسيح «استخرجهُ من الايطاليَّة سنة ١٧٩٣ انطون ابن القس دقور الروميّ الملكيّ الحلبيّ» بمدينة رومية (صفحاتهُ ٢٥٨)

١٤٣ ﴿أنطوين﴾ الاب بولس غبريال انطوين اليسوعي المتوفّى ٢٢ ك ٢ سنة ١٧٤٣ . كتابهُ اللاتينيّ في اللاهوت الادبيّ ذو شهرةٍ واسعةٍ كان فرض البابا بندكتوس الرابع عشر تعليمهُ في مدارس رومية . قد عرَّبهُ القس يوسف العجلونيّ الراهب الباسيليّ الشويري في رومية وطبعهُ في مطبعة مجمع انتشار الايمان سنة ١٧٩٥ في خمسة مجلَّدات . منهُ نسخة خطّيَّة في المكتبة الفاتيكانيَّة . ثمَّ اعاد طبعهُ في مجلدين في المطبعة نفسها القس متّى شهوان سنة ١٨٣٤ مع اضافة بعض الحواشي على الاصل . وقد ترجم القس اندراوس شاشاتي الارمني هذا الكتاب الى الارمنيَّة (المشرق ٩ [١٩٠٦] : ٣٦٦)

١٤٤ ﴿اوبيشيني﴾ هو الاب الفرنسيسيّ المعروف بتوما دي نوفارا Thomas

de Novare) رئيس الاراضي المقدَّسة وسفير البابا الى الكلدان في آمد سنة ١٦١٦ ومعلّم اللغات الشرقيَّة في رومية. توفي سنة ١٦٣٦ . في مكتبتنا الشرقيَّة نسخة خطيَّة من القرن السابع عشر من الكتاب المسمَّى بالكنز العربي (Thesaurus arabicus) الجامع لمفردات شتَّى في عدة فصول في العربيَّة والسريانيَّة وهو على ما نظنّ لايليا النصيبيني . فهذا الكتاب قد نقلهُ الاب اوبيشيني الى اللاتينيَّة . ثمَّ طبع في رومية سنة ١٦٣٦ منسوباً الى الاب توما دي نوفارا . وطبع لهُ ايضاً في مطبعة البروبغندة كتاب الاجروميَّة بالعربيَّة واللاتينيَّة سنة ١٦٣١

١٤٥ ﴿اوتفاج﴾ الاب يوسف اليسوعيّ المرسل الشرقيّ توفي في القاهرة سنة ١٩٠١ . لهُ عدَّة كتابات مخطوطة عن مصر واللغة الهيروغليفيَّة . نشرنا لهُ في المشرق (١ [١٨٩٨] : ٨٨٠) مقالة مستحسنة في التوراة والفراعنة

١٤٦ ﴿ اورسي ﴾ هو الراهب الدومنيكيّ ثمَّ الكردينال يوسف اوغست اورسي توفّي في رومية سنة ١٧٦١ (اطلب مجموعة مكتبنا الشرقي MFO, VI, 223-224) لهُ تاريخ موسَّع في عدة مجلدات لأعمال الكنيسة منذ انشائها الى القرن السادس للمسيح . وقد عرَّب هذا التاريخ الخوري انطون صبَّاغ الروميّ الملكيّ في اواخر القرن الثامن عشر . منهُ ثلث نسخ في مكتبتي الروم الكاثوليك والموارنة في حلب . ومنهُ في مكتبتنا الشرقيَّة ستَّة مجلدات تاريخ اولها سنة ١٧٦٦

١٤٧ ﴿ اوسابيوس المؤرّخ﴾ اسقف قيصريَّة وزعيم المؤرخين الكنسيين توفّي سنة ٣٤٠ م . لهُ في العربيَّة في مكتبة باريس (Ms 147, n° 15) ترجمة القديس سلوسترس بابا رومية . وقد ذكر لهُ ابو البركات في لائحته (Riedel, 648) شروحاً على فصول الاناجيل المقدَّسة ومقالات دينيَّة متفرّقة

١٤٨ ﴿ اوغسطينوس ﴾ القديس اوريليوس اسقف بونة في افريقية واحد كبار الآباء اللاتينيين توفي سنة ٤٣٠ م . لهُ في العربيَّة: ١ً تأملات مار اوغسطينوس في عدد ٢١ تأملاً عرَّبها القس لاونديوس سالم الحلبيّ . منهُ نسخة خطيَّة في مكتبة البروبغندا (ع ١٨ ا) ونسخة اخرى في بيت نقولا افندي ايوب في حلب . وقد عرَّب ايضاً هذه التأملات القس انطون آصاف (راجع العدد ٢) مع مناجيات القديس اوغسطينوس ومواطنهِ . وكلاهما طُبع في مطبعتنا الكاثوليكية سنة ١٨٦٧—١٨٦٨).

٢° اعترافات القديس اوغسطينوس . عرَّبها ايضاً القس لاوندوس سالم من الايطالية سنة ١٧٥٥ منها نسخة في مكتبة الموارنة في حلب (ع ١٢٧) . وقد عرَّب هذا الكتاب ثانية تبعاً لرواية المونسنيور لويس سبيراكو المرحوم الخوري يوسف العلم وطبعة في مطبعة جسر نهر بيروت سنة ١٩٠٩ تحت العنوان «نزهة الخاطين في اعترافات مار اوغسطين» . ٣° وفي مكتبة المنسنيور جرجس شلحت في حلب رسائل القديس اوغسطينوس الى لورنتيوس مع ردّ الجواب والى وولوسيانوس مع رسالته في الامانة والقانون وفي الامانة والاعمال (في ١٤٢ صفحة) من القرن الثامن عشر . ٤° وله في مكتبتنا الشرقيّة مجلّدان ضخان يحتويان مئة وثلثين مقالة في شرح مشاكل اسفار الكتاب المقدّس من العهدين العتيق والجديد . وفي آخرهما انَّ هذه المقالات قد عرَّبها السيد ابرهيم كرامة الحمصيّ مطران دمشق . وتاريخها ايلول ١٧٨١ وتموز ١٧٨٢

١٤٩ ﴿اومنيا﴾ الاب لويس الفرنسيسي (Al. Omegna) عرَّب وطبع في مطبعة الآباء الفرنسكان في القدس ١٨٥٧–١٨٥٩ مختصر اللاهوت الادبي للقديس الفونس ليغوري ملخّصاً بيد الاب نيراغيت (D. Neyraguet) . ثم طُبع في مطبعة طاميش (١٨٥٧–١٨٦٢) معرَّباً بقلم القسّ يوسف فطيلة المرسل اللبناني الّا ان ترجمتهُ منقولة تقريباً بالحرف عن ترجمة اومنيا

١٥٠ ﴿ ايرونيموس ﴾ المعلم انطونيوس . لم نطلع على تاريخه . له في مكتبتنا في آخر كتاب حوادث الاعتراف لخريستوفورس وينا اليسوعي تأمّلات عرَّبها القس ابرهيم جلوان من تلامذة المدرسة المارونيّة في رومية في القرن الثامن عشر

١٥١ ﴿ ايرونيموس ﴾ الراهب الدومنيكي . لم نعثر له على تاريخ . له في مكتبتنا الشرقيّة تفسير نزمور النبيّ داود « ارحمني يا الله » في ٢٠ فصلاً وهو مكتوب بخط الطيّب الذكر جرمانوس فرحات سنة ١٧٣١ في ٤٩ صفحة . ومنهُ نسخة اخرى في مكتبة الموارنة في حلب (ع ١٢٣) ويقال هناك ان معرّبه الخوري ابرهيم جلوان السابق ذكرهُ

١٥٢ ﴿ ايرونيموس ﴾ البادري رئيس الكرمليين في حلب في القرن السابع عشر (الطلب مجموعة الآثار النصرانيّة للاب انطون ربّاط Rabbath: Documents, I. 467) . له في مكتبة الموارنة في حلب سيرة القديسة تراثيا عرَّبها عن اللاتينيّة

١٦١ ﴿أيوب الشرّاني﴾ كان في القرن السابع عشر · وجدنا لهُ في مكتبة الموارنة في حلب (ع ٥٤٧) قاموساً سريانيّاً وعربيّاً ولاتينيّاً · مؤلفهُ أيوب الشمّاس ابن جرائيل الشرّاني الاصل من بيت أيوب القاطن حلب تلميذ مدرسة رائتا (الأصلة)

(انتهى باب الالف)

حوادث دير الزور في زمن الحرب

لشاهد عياني الاديب جوزيف افندي توتل

نشر المشرق (١٠ [١٩٠٧] : ٣٨ – ٤٥) لُمعة مستحسنة عن تاريخ دير الزور ووصف احوال هذه المدينة الحديثة وترقّيها في عهد متصرّفها احمد رشيد باشا ·ثم زادت امورها تحسُّناً الى زمن اعلان الحرب حيث كان يتولّى امرها المتصرّف جلال بك المعروف بهمّته وانصافهِ · وكان النصارى في دير الزور بين ٣٠٠ و ٤٠٠ نفس معظمهم من التجار الكاثوليك الارمن والسريان والكلدان والروم ولكلّ طائفة كاهن يرعاهم وللطائفتين الاوليين كنيستان

بقيت دير الزور بفضل متصرّفها جلال بك في هدوءٍ وسكينة بعد دخول تركية في الحرب ولماّ ائتلف ضابطو دفّة الحكم التركي في الاستانة على تضحية الشعب الارمني واستئصال شأفته في تركية لم يكترث لهذا القضاء الجائر متصرّف دير الزور وثبت على خطّته العادلة مع نصارى ولايتهِ

ثمّ لم تلبث الحكومة ان وجّهت الوفاً من المهاجرين من انحاء تركية الى دير الزور فكان المتصرّف النبيل يتولّهم في ضواحي المدينة وغاباتها ويأمر باسعافهم على قدر استطاعته مع انّ عددهم بلغ في خريف السنة ١٩١٥ نيّفاً و ٠٠٠،١٦٠ ثمّ زاد الى ٠٠٠،٣٠٠ من كلّ الولايات العثمانيّة · وكثيراً ما اثنى المهاجرون على لطفهِ وحسن تصرّفهِ

على انّ الذئاب الكاسرة الجالسة على منصّة الدولة في الاستانة من اهل الاتّحاد

والترقّي كطلعت وانور وامثالهما لم يرضوا بحنان جلال بك نحو اولئك المنكوبين الذين كانوا يذوقون الموت ألواناً في طريقهم قبل بلوغهم الى دير الزور ثمّ يُنقلون منها الى حيث ينتظرهم الجزّارون من اتراك واكراد وجركس واجلاف العرب فيذبحونهم ذبح الحملان . وانما ارادوا ان تختضب ايضاً دير الزور بدمائهم ومن ثمّ عزلوا جلال [illegible] المدينة مأسوفاً عليه مذكوراً بالشكر من جميع اهلها .

وما عتم ان وصل الدير ليخلفهُ في منصبه وحش ضارٍ متقنع محمد بشري يُدعى زكي بك حلّ الدير في اوائل حزيران من السنة١٩١٦ . وكنتُ قبل وصوله ببضعة اشهر قدمتُ الى دير الزور بدعوة البعثة الالمانيّة التي كانت محتاجة هناك لمن يسعى بماديات ذويها وتجهيز لوازمهم وكان بلغهم اني عارف بلغتهم الالمانيّة فأحسن خدمتهم كترجمان بينهم وبين الاتراك . وقد رضيتُ بهذه المهنة مع نزعتي الشديدة الى فرنسة وامورها فراراً من ظلم الحلفاء ثم املاً بخدمة النصارى في تلك الجهات . فما مرّ عليّ زمن قليل حتى عاينتُ من الفظائع ما لا يستطيع ان يصفهُ لسان

جاء زكي بك حاملاً اوامر زعماء الاستانة بذبح الارمن . فكانت تلك الاوامر مطابقةً لاميالهِ الدمويّة فاستعدّ لهذا العمل الشريف بحيث لا يفوتهُ منهُ ادنى فضل

كان اولئك البائسون يساقون كالغنم من ارمينية والولايات الشمالية عراةً حفاةً مشاة الى حلب ومنها الى صحراء دير الزور . دون طعام يقتلهم العطش ومع ان طريقهم كان في جوار ضفّة الفرات الشرقيّة كان الجنود قوّادهم لا يسمحون لهم بان ينقعوا غليلهم بماء النهر فيموتون عطشاً

وكانت قوافلهم تجري الواحدة تلو الاخرى واذا طُرد اهل بلد من وطنهم يُفصَل الرجال من النساء فيُذبحون وتترك النساء مع اولادهن يواصلن الطريق وحدهنّ فاذا حللن في مكان كان يتهافت عليهن الاكراد فيسلبون منهنّ من الحلي والدراهم ما امكنهم . واذا دخلن مقاطعةً للاعراب ولم يبق معهنّ ما يبتعن لهنّ طعاماً يأتي العرب افراجاً ويختارون البنات والنساء فيسبونهنّ الى منازلهم ويقتلون اللواتي يمتنعن من مرافقتهم او يحاولن الدفاع عنهنّ . فكانت طريق القوافل تُعرف من وفرة جثث الموتى الملقاة على قارعتها . فكم هلك من تلك السيّارات جوعاً وعطشاً وضرباً وضنكاً .

بل كم من اولئك المنكودات الحظ اصابهنّ نوع من الجنون فانتحرن او القين نفوسهنّ في النهر او الآبار لينجون من ايدي الظالمين. وكان بعض هذه القوافل قد قضت سبعة اشهر سيرًا على الطرق. فلم يسلم منها الّا بعض الأفراد. خرج من مدينة ارزنكان في ولاية ارضروم ثلثة آلاف عائلة فما وصل منهم الى دير الزور الّا ثلثة عشر شخصاً وتلف الباقون او تاهوا في البراري

فلمّا صار الامر في ايدي زكي بك كان عدد المهاجرين من الارمن في دير الزور وضواحيها ١٢٦،٠٠٠ وكان احضر معهُ اربعمائة من الجركس اقامهم على ضفّة نهر خابور احد سواعد الفرات ثمّ قضى ثلثة اشهر ينقل هو نفسه فئات من المهاجرين ويسلّمهم للجركس فيذبحونهم امامهُ كيفما شاؤوا رمياً بالرصاص وضرباً بالسيف وخنقاً ثمّ يلقونهم في النهر فقُتل على هذا المنوال ١٢٠،٠٠٠. وبقي من النساء بضعة آلاف اختفى منهن نحو الف في بيوت دير الزور عند اهلها المسلمين اذ حُظر على النصارى تحت عقاب الموت ان يُؤوا المهاجرات في بيوتهم. على انّ حالة هؤلاء المنكودات الحظ كانت اشنع من الموت اذ كنّ كالبهائم لا ينلن كسرة الخبز الّا بتسليم نفوسهنّ للفحشاء ثم يسأمونهنّ ويطردونهنّ

وهرب منهنّ نحو اربعة آلاف تفرّقن ايدي سبا بين قبائل العربان ونجا البعض منهنّ بعد نهاية الحرب فأخبرن عمّا اصابهنّ من البلايا ما تتفتّت له الاكباد الجلموديّة الّا

استشهاد الاب بطرس اغاجانيان

كان بين المهاجرين من الارمن عدّة قسوس لاسيما من الغريغوريين ساقوهم من بلادهم مع رعاياهم. وكان من جملتهم كاهن يسوعي من مرسليهم في بلاد الارمن يُدعى الاب بطرس اغاجانيان. وهو ارمنيّ الاصل ولد في قيصريّة من ابوين غير كاثوليكيين تربّى في مدارس الكاثوليك ثمّ ذهب الى بيروت حيث درس مدّة في كليّة القديس يوسف بصفة اكليريكيّ (١٨٩٣–١٨٩٧) وتعاطى مدّة فنّ الصيدلية الى ان دعاهُ الآباء اليسوعيون في آطنه الى التعليم في مدارسهم فعلّم نحو خمس سنين لكنّهُ شعر في اثناء تعليمهِ بدعوة الله ينتدبهُ الى الترهّب في الرهبانيّة اليسوعيّة فلبّى صوتهُ تعالى في ١٣ شباط ١٩٠٤ ولهُ من العمر ٢٩ سنة. وكان بعد دروسهِ اللاهوتيّة ارتسم كاهناً وعاد الى وطنهِ لأعمال الرسالة في اواسط السنة ١٩١٤. في

مرسيفان. فما كاد يمرّ عليهِ بضعة اشهر حتّى قامت الحرب على ساقها وأُلقي عليهِ القبض فنُظم في سلك المهاجرين وأُرسل الى قونية ومنها الى حلب حيث اودعوهُ السجن

فسعى الآباء اليسوعيّون في الشهباء بان ينالوا اطلاق سراحهِ فجاء الامر بتأجيل سفرهِ الى دير الزور فبقي في سجنهِ الى ان حضر المأمورون واخرجوا القسوس الارمن ليرحلوا بهم الى منفاهم دون الاب بطرس الذي ابقوهُ في سجنهِ وتوطّد بذلك الامل في نجاتهِ. على أنَّ احد قسوس الارمن غير الكاثوليك احتجّ لدى الاتراك وأبى ان يسافر ما لم يَسِرْ معهم الاب بطرس وهو مثلهم ارمنيّ الاصل. فأفعاد احد رجال الشحنة وهو يجهل الامر بابقاء الاب في حلب فاخرجهُ وساقهُ مع بقيّة القسوس دون أن يبالي بما بلّغهُ الاب عن امر تأجيل سفرهِ

لمّا وصل الاب بطرس الى دير الزور رُوعي فيها جانبهُ وأُطلق سراحهُ فابتدأ يتولّى شؤون وظيفتهِ الرسوليّة في خدمة النفوس ويقدّم الذبيحة كلّ صباح في كنيسة السريان الكاثوليك ثمّ يصرف اوقات الفراغ قسماً في الصلاة والمطالعة وقسماً في تفقّد الفقراء المهاجرين المنكوبين دون ان يفرق بين الكاثوليك وسواهم فيعزي الجميع على اختلاف مذاهبهم ويلهمهم الصبر الجميل ويذكّرهم بآلام سيّدهم وعذابات شهدائهم. فاكتسب ثقة رفقائهِ لاسيما الارمن غير الكاثوليك الذين لم يعهدوا في كهنتهم مثل هذه الغيرة على خلاصهم فشاع اسمهُ بينهم فكانوا يلتجئون اليهِ في ضيقاتهم لاسيما النساء والبنات ليصون شرفهنّ فكان الاب يسعى جهدهُ في ذلك فاستطاع ان يجد لبعضهنّ أماكن يأمنّ فيها على عرضهنّ وكان يحضّ الجميع على حفظ براءتهنّ مهما تكلّفن من المشقّات بل يفضّلن الموت على فقد طهارتهنّ

وممّا يوجب الاسف انهُ فيما كان الاب اغاجانيان يستنفد قواه في صيانة اولئك النساء والعذارى تصدّى لهُ شيخ شرير من كهنة غير الارمن الكاثوليك من فورنوز من لواء مرعش سوّل لهُ الشيطان ان يتّخذ لهُ مهنةً بين المهاجرات بان يبيع اعراضهنّ لذوي العهارة والفحش. فتصدّى لهُ الاب بطرس بما امكنهُ من الوسائل ليخلّص من حبائلهِ الفتيات ولم يأخذهُ في حملهِ لومة لائم وقد بارك الله غيرتهُ مرارًا فمن جملتهنّ خادمة عرفتُها اسمها دايوهي صرافيان هي اليوم في بغداد كانت تبارك اسم الاب اغاجنيان وتنسب اليهِ حفظ شرفها

وبالاجمال انَّ الاب المذكور احسن القيام بسائر واجباتهِ متفانياً باتمامها على مثال اخوتهِ الآباء اليسوعيين . وقد شهدتُ ذلك واختبرت اعمالهُمن قريب فرأيت من واجباتي ان اعلن بها بعد موتهِ تخليداً لذكرهِ لانهُ قد مات قديساً كما سترى

ما كان زكي بك ليجهل ما يأتيهِ الاب اغاجانيان من اعمال الغيرة والرحمة نحو الارمن فامر بأن يلقى في السجن مع كثير منهم وذلك في ٢٨ تموز ١٩١٦ . فكان لرفاقهِ كملاك من السماء يلطف اوجاعهم بكلامهِ وامثالهِ . وفي تلك الاثناء وردني من قبل الآباء اليسوعيين في حلب مبلغ خمس ليرات باسمهِ فدفعتها لهُ . وبقي في حبسهِ الى القسم الثاني من شهر آب حيث ساقوهُ الى مكان يُدعى الصُّوَر وهناك استشهد على ما تبيَّن لي في تاريخ ٦ ايلول ١٩١٦ . وقد فتشتُ لأعرف شيئاً عن صفة موتهِ لأستطيع ان أُخبر عنها الآباء اليسوعيين اخوتهُ فتيسَّر لي الامر بمواجهة رجل مسلم من اهل دير الزور يُدعى صالحاً الكويدر شهد قتلهُ قال :

رأيتُ قبل غروب الشمس بنحو نصف ساعة فئة من الارمن يبلغ عددهم زهاء المئة وحولهم الجركس وكان بينهم الاب بطرس مرتدياً بقميص وسروال فقط وهو واقف وبيدهِ كتابٌ يقرأهُ . وكان الجركس يربطون الارمن بالاكتاف ويجعلونهم كتلة واحدة . فلمَّا اقتربوا من الاب اغاجانيان دعاني فدنوتُ منهُ فسلَّمني الكتاب قائلاً : « خذ هذا الكتاب وأعطِهِ القسيس الكاثوليكي الباقي في دير الزور » وكانت دلائل الصبر والجلَد ظاهرة على محيَّاهُ وهو يُتمتم مصلياً فاوثقوهُ مع رفاقهِ . فلمَّا تمت السلسلة ساقوهم وراء تل يبعد نحو عشر دقائق من مكاننا وانا انظر اليهم حتى تواروا عنا . وبعد دقائق قليلة سمعتُ صوت طلقات عديدة متوالية من الرصاص . وما مضى على اطلاقها نصف ساعة حتى رجع قسم من الجركس ثم وردت جماعة من العربان اعتادوا ذبح الاجسام وسلبها ما بقي عليها من الامتعة . فلا شكَّ ان الاب بطرس رُمي بالرصاص وذُبح في جملة رفاقهِ »

ومن غريب ما شاهدناهُ نحن في مساء ذلك النهار اي ٦ ايلول بعد مغيب الشمس بخمس دقائق سهمٌ ناريٌ ظهر في الافق الغربيّ من مدينة الدير كان اوّلاً منتصباً طولهُ نحو متر ونصف الى مترين على هذه الصورة ↑ وكانت السماء حمراء صافية من كلّ غيم او ضباب كما تُرى عموماً في اواخر الصيف في هذه الانحاء والسهم يجتذب اليهِ النظر كشيء خارق العادة . وبقي ذلك بضع دقائق ثمَّ اخذ رأسهُ يميل شيئاً فشيئاً الى الشمال على هذه الصورة ↖ ثمَّ انحدر بطيئاً حتى صار محاذياً للافق ← بل غاص رأسهُ تحت الافق متقوساً حتى انقلب تماماً ثمَّ غاب . فدام ما بين ظهورهِ الى

غيابهِ عشر دقائق · وقد شاهدهُ اهل دير الزور واهل التبنة التي تبعد عنها ٤٨ كيلومترًا واهل السبخة الواقعة على بُعد مئة كيلومتر منها

ومما لهُ علاقة بهذا الحادث وبالمذبحة المذكورة انَّ رجلًا ارمنيًّا كان عمرهُ ٢٨ سنة قصد بيتي في دير الزور واختفى عندي مدَّة ١٥ يومًا ثمَّ ساعدتهُ في هربهِ الى حلب · فهذا كان قد رُبط في تلك السلسلة البشريَّة التي أُطلق عليها الرصاص ليلة قتل الاب بطرس ورفقائهِ لكنَّهُ قبل ان تصيبهُ الرصاصة تمكَّن من قطع حبلهِ وانساب بين جثث الصرعى واختفى في حفرةٍ قريبة خرج منها عند هجوم الليل وتاهَ شهرين في البريَّة ثمَّ رجع متنكرًا واوى الى بيتي فسألتهُ عن تلك الذبحة وتاريخها فقال لي: «كان ذلك في الليلة التي ظهرت علامة ناريَّة في السماء فشاهدتُها وانا في حفرتي» فثبت لي انهُ اشار الى مذبحة ٦ ايلول

صلة اخباري الى نهاية الحرب

امَّا انا فكان مركزي في تلك الحوادث حرجًا للغاية · فكانت المساعدات الماليَّة تأتي من الجمعيَّات الخيريَّة الاميركيَّة والاوربيَّة الى حلب الى قنصل اميركا فهو يبلّغني ايَّاها فأسلّمها الى المهاجرين · فارسل المتصرف يومًا شرطًا قبضوا عليَّ فبقيتُ موقوفًا نصف نهار والتحقيقات جارية في حقّي وكاد زكي بك يضمّني الى عداد المنفيين الهالكين وهو مُطلَق الحكم مفوَّض بقتل كلّ من يشاء · الَّا انَّ الله انقذني من يدهِ لحاجة الاتراك اليَّ وكنتُ حينئذٍ وكيلًا للجنة المتعهدة لتقديم السمن الى الجيش العثماني الرابع وكان جمال باشا السفّاح يشدّد الاوامر في ترويج اشغال السمن فكان ذلك سببًا لنجاتي

وكان في دير الزور ما خلا المهاجرين من الارمن عدد وافر من الاسرى الانكليز والفرنسويين والروس فوكلتْ اليَّ قنصليَّة اميركا توزيع معاشاتهم فمنعني المتصرّف عن تسميم وكالتي · فلمَّا علم بذلك القنصل عيَّنني بصفة رسميَّة لإنجاز تلك المهمَّة فأبى زكي بك استعراني لكوني مشبوهًا على قولهِ بعلاقاتي مع الارمن · فاستاء اذ ذاك القنصل وطلب من جمال باشا تحويل الاسرى الى غير جهة فحوّلوهم

وكان عدَّة اشخاص من اولاد ونساء يأتون فيستخفون في بيتي فينجون من الموت (اطلب في المشرق ١٩ [١٩٢١] : ٣٨٤ قصَّة الطريد الارمني) · كان من جملتهم

ثلث نساء عفيفات جميلات مع فتاة وصبي وهنّ من ارباب بيوت الارمن كان اهل الفساد يحاولون سبيهنّ. فلمّا دخلن بيتنا أمنَّ على عرضهنّ بيد انَّ اصحاب السوء ارادوا ان يوقعوا بي فيتهموني بالفحشاء لدى الحكومة . فحرَّكوا الادارة المسئولة عن المهاجرين لتأمر بكبس بيتي حتى اذا وجدوا نساء صبايا يأخذونهنَّ

فبلغني الخبر قبل وصول البوليس الى بيتي فألهمني الضمير حيلةً استحسنُها في نظر الواجب والذمّة فذهبت من ساعتي الى القس الكلداني وهو راهب بسيط وتقي فقصصت عليه الخبر وطلبت منهُ شهادة زواج باحدى النساء الثلث مؤرّخة من شهرين سابقاً . ففعل رحمةً باولئك المهاجرات . فعدتُ مسرعاً الى بيتي انتظر الشرطة فبعد ساعتين أتى القوميسير مع بعض الانفار وطلبوا ان يروا النساء اللواتي في بيتي فامتنعتُ من كشفهنَّ مدّعياً انَّ الواحدة قرينتي والثانية اختها والثالثة صانعة في بيتي واظهرتُ لهم شهادة زواجي بختم الرئيس الديني فاقتنعوا بقولي وشاع لدى الحكومة وعند المسلمين اني مقترن بالزواج وان لم يكن اسمي مقيدًا في الدفاتر الرسميّة. فما زالت زوجتي المزعومة مع رفيقتيها في بيتي يشتركن بالخدمة الى ان انفتح الطريق فانطلقت الى بلدة عند اهلٍ لها هناك فزَّقتُ الشهادة

وفي ١٠ شباط سنة ١٩١٧ طلبتني الحكومة للخدمة العسكريّة ولم يقبلوا منّي البدل النقدي . لكنَّ النزل الالماني العسكري اتّخذني لخدمتهِ في دير الزور بصفة ترجمان فركبتُ في ١ آذار مع قومندان النزل المذكور ورافقتهُ خارج المدينة لافتقاد الامكنة التي تصلح لمرعى دوابهم وكان القومندان يسير مسرعاً وانا راكبٌ بغلةً في اثره فسقطتُ وانكسرت ذراعي اليمنى فرجعت الى البيت ودعوتُ مجبّرًا من العرب لعدم وجود طبيب فجبر لي الكسر وتأجل طلبي للعسكريّة فبقيتُ اتداوى في بيتي ولقيتُ من جماعة الارمن الموجودين عندي مداراةً لم اعهدها من افضل خَدَمَة المرضى

وعلى اثر هذا الحادث انسحبتُ من النزل الالماني وعدتُ الى اشغالي . وكان الالمان اتّخذوا عوضاً عني بصفة ترجمان شاباً ارمنياً كاثوليكياً من عينتاب فارسلتهُ الحكومة الى صحراء بعيدة وقطعت عنهُ كلّ معاش فأيس من الحياة وانتحر . فاضطرَّ النزل الالماني الى طلب مساعدتي وانا الوحيد في دير الزور العارف باللغة الالمانية فجعلوا جميع امور النزل في يدي وصرتُ الوسيط بينهم وبين الحكومة في ما يطرأ

عليهم من الخلاف فاصبح مركزي في القنصل وفي عين الحكومة كبيراً جداً وامكنني بذلك ان ازيد سعيي في مساعدة المهاجرين الارمن وكنت امثل النصارى المقيمين في دير الزور فاهتمّ بشؤونهم وادافع عن حقوقهم. وقد اراد القنصل الالماني ان يجازيني عن خدمي له فطلبوا لي وساماً ملكياً لكنّ طلبهم بقي دون جواب فعرضوا عليّ رتبة ضابط الماني وملازم اوّل فلم اكترث لذلك الامتياز

وكان الاتراك خوفاً من احتجاج الدول كفّوا وتنحوا عن ذبح الارمن واعادوا الى الاستانة بعد خمسة اشهر ذاك الجزّار الاثيم زكي بك وعيّنوا مكانهُ متصرفاً آخر لم يقتل الارمن علانيةً وانما ابقاهم تحت رقّ عبوديةٍ شاقةٍ اسوأ من عبوديةِ بني اسرائيل في مصر. فكان مقامي في القنصل الالماني واسطة لخدمة هؤلاء البؤس المساكين

وفي شهر آب ١٩١٧ استفزّت النخوة الاتراك وحلفاءهم وقصدوا استرجاع بغداد من الانكليز فجهّزوا جيشاً كبيراً دعوهُ بالصاعقة (يلدرم اوردو) وألّف الالمان هيئتين فنيّة وادارية لدرس الطريق واعداد الزاد والاطعمة فدعوني لتهيئة لوازم الجيش واشترطت عليهم شروطاً رضوا بها منها ان تُعطى لاخويّ وليم ورأفت الرخصة لمساعدتي. فلم يتمّ الامر الّا بعد أن عرقلهُ الاتراك مدّةً فارسلتُ اخي وليم الى حلب وتوجّه رأفت الى عانة بصحبة اللجنة الفنيّة وابتدأنا بتحضير اللوازم لحين ورود الجيش وحصلت لنا ارباحٌ عظيمة من شغلنا

على انّ هذه الحملة لم تخرج الى حيز الفعل وذلك اولًا لانّ النار شبّت في محطة حيدر باشا في الاستانة فالتهمت سائر التجهيزات الحربيّة التي كان الالمان اعدّوها وجمعوها هناك. وثانياً لأنّ الانكليز وحلفاءهم باشروا بالهجوم في جهة فلسطين فاضطرّ الاتراك والالمان والنمساويون ان يعدلوا عن العراق للدفاع عن بلاد الشام فاسرعوا اليها حيث اصابتهم كسرةٌ شنيعة ودفنت شهرة المارشال فلكنهيم العسكريةِ مع صاعقته الواهية. وبقيت التجهيزات التي اعددناها للعراق بلافائدة فسلّمنا للحكومة ما استحضرناهُ منها

وفي شتاء تلك السنة ١٩١٧و١٩١٨ حصل في دير الزور مجاعةٌ تقشعرّ لها الابدان فقلّت الغلّات الى حدّ ان أقة الحنطة بيعت بمجيديّ ونصف ذهباً وسقطت مع ذلك

قيمة الاوراق التركيَّة حتى هبط سعر الليرة الى ١٨ غرشاً . فاشتدَّ الجوع وذُبحت المواشي والحيوانات فلم يبقَ منها اثر في القرى والضياع ثمَّ تفشت الامراض وكان عدد الموتى يزداد يوماً بعد يوم . فبلغ الجوع بالناس الى ان أكلت الأمهات اولادهن وربَّما تزاحموا حول جيف الحيوانات المائتة والملقاة على المزابل . وقد رأيتُ مرارًا بعيني قوماً يتنازعون لحوم الكلاب والحمير والجمال وينهشون بشراهة ما يصيبون منها . وكان كثيرون من الرجال والنساء يجتمعون حول المنزل الالماني فينبشون روث الدواب ليلتقطوا منهُ حبَّات الشعير والذُرة التي افرزها الخيل والبغال او سقطت من المعالف . ومات من الاعراب الذين اشتركوا بذبح الارمن نحو الستين بالمئة . وتاهَ كثيرون بالبراري يلتمسون لهم شيئاً من الحشائش البريَّة

أمَّا انا فكنتُ ادَّخرت بعدَ عدول الاتراك والالمان عن حملة العراق كثيرًا من الحنطة والبرغل والسمن لمؤونة بيتي وفيهِ تسعة نفوس ثمَّ للمتاجرة بالباقي . فلمَّا فشت المجاعة صرفتُ النظر عن الاتجار بالزاد والطعام وخصصتُ موجودي للتوزيع على المحتاجين بيد انَّ كثرة عددهم ونقصان المؤونة اضطرَّاني الى حصر حسناتي الَّا في اوقات الحاجة القصوى فصرتُ اوزّع بعض المأكولات بدلًا من الزاد فكان الفقراء يرفضونها ويقفون على الباب ساعات يطلبون لقمة من الخبز فكان قلبي ينفطر الَّا عليهم وربَّما جعلتُ اتكالي على الله فسددتُ رمق اولئك المساكين فانقذتُ بعض النساء والاولاد من مخاليب المنون . والحقّ يقال ان الله لم يهملنا حتَّى بلغنا المواسم الجديدة . وبفضل ما بقي لدينا من الدراهم ابتدأت اشغالنا ان تتَّسع واقتنيتُ املاكاً واراضي زراعيَّة في دير الزور واطرافها املاً في مستقبل تلك البلاد

وكلٌّ يعلم كيف انتهت الحرب وانسحاب الاتراك من سوريَّة في اوائل تشرين الثاني بعدَ فشل جيوشهم وخساراتهم الفادحة . امَّا دير الزور فغلبت عليها الفوضى مدَّة نحو شهر لاحكومة عليها الى ان اجاب الامير فيصل دعوة الديريين فارسل اليها قائدًا مع بعض الجنود العربية وولَّى عليها متصرفاً عربياً فبقيت المدينة تحت حكمهم من ٨ كانون الاوَّل ١٩١٨ الى ٦ كانون الثاني ١٩١٩ حيث حضرت فرقة عسكريَّة انكليزيَّة وتولَّوا تدبير الامور ورفعوا العلم الانكليزي . وخطب قائدهم في الناس بالانكليزيَّة فأجيبَ بالفرنسويَّة مرحباً بالاحتلال الانكليزي ومهنئاً بظفر الحلفاء.

حبيس فرنسوي في لبنان

المسيو فرنسوا دي شَسطويل (١٦٣٣–١٦٣٤)

لحضرة القس بطرس ساره الراهب اللبناني

انَّ الترجمة اللطيفة التي نشرها في العام الماضي ذاك الكاتب البارع رينه بازين (R. Bazin) لتعريف حبيسٍ فرنسويّ تنسَّك في الصحراء وهو الضابط ثمَّ الكاهن شَرْل فوكو (راجع العدد الاوَّل من هذه سنة المشرق ص ٧٣) ذكَّرتنا بحبيس آخر فرنسويّ الاصل شرَّف جبلنا لبنان في القرن السابع عشر وعطَّر اهلهُ بفضائلهِ فلم يزالوا حتى اليوم يذكرونهُ بالخير · نريد به رجل الله المسيو فرنسوا دي شَسْطويل (Fr. de Chasteuil) · على انَّ تفاصيل اخبارهِ العجيبة كادت تطمس من اذهان اهل الوطن فاحببنا ان نُحييها بهذه الخلاصة التي اقتطفناها من كتاب عزيز الوجود منهُ نسخة في المكتبة الشرقيَّة للآباء اليسوعيين تحتوي ترجمة الحبيس المذكور (La vie de Monsieur de Chasteuil solitaire du Mont-Liban) وضعها كاتب من معاصريهِ المسيو مركيتي (Mr Marchety) احد كهنة مرسيلية بعد وفاتهِ بزمن قليل وطبعها في باريس سنة ١٦٦٦ وقد حرَّرها كذلك بعدهُ المدعو غسبار اوجيري تحت عنوان الحبيس البروفنسالي في جبل لبنان (Gaspard Augéri : *Le Solitaire provençal du Mont-Liban*, Aix, 1671) · وقد اطَّلعنا ايضاً على معلومات متفرّقة عنهُ في سياحة المسيو دى لاروك وفي المعاجم الفرنسويَّة المطوَّلة · امَّا الكتبة الوطنيُّون فلم نجد بينهم احداً ذكرهُ الَّا العلَّامة البطريرك الدويهي في تاريخهِ قال ما حرفهُ الواحد في تاريخ سنة ١٦٤٤ :

في هذه السنة في الخامس عشر من أيار ليلة العنصرة كانت وفاة الحبيس فرنسيس الفرنساوي الاصل من بيت جلياق من مدينة آكوينة (كذا) . فهذا حباً لخلاص نفسهِ زهد في الدنيا وترك استاديَّة قسطول . وفي سنة ١٦٣٢ قدم الى جبل لبنان فحبس نفسهُ اوَّلًا في سيّدة حوقا ثمَّ انتقل الى اهدن الى ديرِ مار يعقوب الاحباش ثمَّ سار الى دير مار سركيس في راس النهر . وكان ذلك في رئاسة ابن حُمَيرة والاسقف الياس . ولمَّا خرج هذا من الدير وسكن في اهدن

انتقل الحبيس الى دير مار اليشاع بشرّاي. وكان قبل ذلك قد انتقل اليه الاب شيلستين الكرملي فلبث عنده مدّةً يسيرة من الزمان ومضى الى الراحة التي لا زوال لها بعد ان صار قدوة صالحة لاهل البلاد وبلغ اجلّ المراتب في الورع والصوم والسهر وتلاوة الكتب وقهر الجسد والتفكر في الالهيات »

اصل فرنسوا دي شسطويل وتاريخ حداثته

اصل فرنسوا دي شسطويل من اسرة شريفة من اقليم بروفنسة جنوبيّ فرنسة اشتهرت باسم غالوب (Galaup) ثم اقطعهم الملك هنريكس الرابع سنة ١٥٧٤ ارض شَسْطويل (Chasteuil) فعُرفوا باسم غالوب دي شسطويل فنهم من امتاز بالآداب والتاريخ ونظم الشعر ومنهم من خدم وطنهُ في ساحات الحرب وتعاطى بعضهم الفنون الجميلة

وكان ابو فرنسوا يُدعى لويس غالوب دي شَسْطويل وامُّهُ فرنسواز كادنه (Fr. Cadenet) وكلاهما شهير بفضلهِ وفضيلتهِ خلّفا ثمانية اولاد حصل كلّ منهم على حسن السمعة وامتاز باعمالهِ. لكنَّ فرنسوا صاحب الترجمة فاق على الجميع بسعة مداركهِ وقداسة حياتهِ

وُلد المذكور في مدينة إكس من اعمال بروفنسة في ١٩ آب سنة ١٥٨٨ واصطبغ بعد ايَّام بمياه المعموديّة في الكنيسة الكاتدرائيّة ندعي فرنسيس. واذ كان الله يعدّهُ لمستقبل مجيد انشأ في قلبهِ منذ نعومة اظفارهِ محبّة عظيمة لذوي البأساء وعطفًا غريبًا عليهم فما كان ليرضى ان يردّوهم واليد فارغة وربّما صرخ مُعْوِلًا باكيًا الى ان يرى اهلهُ يتصدّقون عليهم. وثبت على محبّتهِ للبائسين سائر حياتهِ يرى في شخصهم السيّد المسيح عينهُ

ولمَّا ترعرع جذبهُ الله الى محبّتهِ فبغّض اليهِ اللعب واللهو مع اترابهِ فكان يعتزل عنهم لينقطع للصلاة. وكان قبل ان يبلغ العاشرة من عمرهِ يمارس اعمال التقشّفات والاماتة كالصوم ولبس المسح والنوم على الحضيض وربط اعضائه بالامراس الرفيعة حتى غاصت في لحمهِ. لكنَّ مرشدهُ امرهُ بتخفيف تلك الاماتات فانقاد الى امرهِ. وكان متعبّدًا للبتول يصوم لاكرامها كلّ سبت وفي بيومون اعيادها. وبجمل القول انَّهُ كان بالملاك اشبه منهُ بالبشر يجذب الى الفضيلة كلّ من يعاشرهُ

وكان فرنسيس ذكيًّا متوقّد الذهن قلمّا توعرع اخذ ينصب على الدرس بكلّ نشاط ورغبة ٠ فما عتّم ان فاق اقرانهُ بإحرازهِ اسرار اللغتين اللاتينيَّة واليونانيَّة ٠ ثمَّ انقطع الى درس الفلسفة واذ رغب اليه ابوهُ ان يصرف نظرهُ الى التعاليم الفقهيَّة اجاب الى طلبتهِ فأتقن درسها ونال شهادة الملفنة

وانما كان ميل فرنسيس بدفعهُ الى درس الرياضيَّات والعلوم الفلكيَّة فبرَّز فيها كما برَّز في الادب والشرع ٠ على انهُ خُدِع مدَّةً بزعم المنجّمين فتعاطى التنجيم لكنهُ ارعوى عنهُ بمشورة احد الآباء الكبوشيين الذي بيَّن لهُ بطلانهُ فنبذهُ نبذ النواة

ثمَّ أُغرِي بمطالعة الاسفار المقدَّسة فاراد ان يتمكّن بدرسها في اصلها العبرانيّ فاجتمع باحد الرهبان الفرنسيسين المدعو جبرائيل دي ڤلا (Gab. de Villa) من مشاهير عصرهِ ولم يزل يتردّد عليهِ حتى برع في معرفة تلك اللغة فزاد هيامهُ بقراءة التوراة فكان لا ينقطع عن مطالعتها حتى كاد يستظهرها ٠ واضاف اليها درس اللغة السامريَّة فانتقد على نسخة منها اتوا بها الى فرنسة وادَّعى اصحابها وبعض العلماء انها سبقت النصَّ العبرانيَّ فبيَّن بادلّة قاطعة ضلال الذاهبين الى هذا الزعم الباطل وكتب عدَّة ملحوظات لغويَّة على كليهما قدَّمها لجبرئيل الصهيوني الماروني الذي كان يشتغل اذ ذاك في باريس بطبع التوراة المتعدّدة اللغات (Biblia Polyglotta) فأُعجب بها وشاع بذلك اسم كاتبها حتى عُدَّ في جملة كبار المستشرقين ٠ امّا هو فلم يطلب من هذه الدروس سوى خير القريب واغتذاء نفسهِ بكلام الله ليزداد تقوى وبرارة وطهارة قلب ٠ ومما استفاد منها انها ادَّت بهِ الى السأم من روح العالم والى الزهد والانقطاع الى الله فتفكّر مذ ذاك في هجران وطنهِ ليعيش سائحًا في النسك والخلوة

سياحة فرنسيس دي شسطوين الى الشرق

وفي تلك الاثناء قدم الى مرسيلية الكونت دي مرشڤيل (de Marcheville) كان الملك لويس الثالث عشر اختارهُ كسفيرهِ لدى سلطان الاتراك في الاستانة ٠ فرأى المسيو دي شسطوين فرصة سانحة للسفر بصحبتهِ الى الشرق ليجتمع بعلماء الربّانيين هناك فيستفيد من انوارهم في حلّ بعض المشاكل اللغويَّة التي عرضت لهُ في

درس التوراة العبرانيّة . فالكونت الذي كان بلغهُ فضل المسيو دي شسطويل رضي بان يرافقهُ وعدَّ صحبتهُ نعمةً من الله

فتأهَّب فرنسيس لهذا السفر البعيد وانتدب راهباً فرنسيّاً اسمهُ الاب تاوفيل ميثُوتي كان رحل سابقاً الى الشرق ليكون لـهُ كدليل في سياحتهِ . ثمَّ أعدَّ مأدبة فاخرة دعا اليها السفير وجماعةً من العلماء فتفاوضوا في مطاويها عن الفوائد التي يمكن اجتناؤها من معرفة بلاد الشرق ثمَّ قرأ عليهم الوداع

ابحر السفير الى الاستانة في ٢٠ تموز ١٦٣١ وكان سفرهم ميموناً على طريق ارخبيل اليونان مارّين بباريغو ثم بيبارنوس وزاروا آثار ديلوس الشهيرة ثمَّ وصلوا الى شيو المعروفة بصاقس حيث كان الاسطول التركيّ رابطاً فتبادلوا مع اميرهِ المتولّي قيادتهُ عبارات الولاء والوداد . وكان دخولهم في عاصمة بني عثمان في ٢٧ ايلول

لم يشأ المسيو دي شسطويل ان يتلهَّى بما تحتويهِ الاستانة من الغرائب والآثار لاسيما في عين الاوربيين الذين لم يعتادوا اخلاق الشرقيين واحوالهم المختلفة وابى ان يقيم ضيفاً في دار السفير وانَّما استأجر لـهُ بيتاً في بعض احياء المدينة القليلة الضوضاء ليتفرَّغ فيهِ لدروسهِ المحبوبة . فكان هناك يعيش مع الاب تاوفيل عيشة الرهبان يقضي زمانهُ بين الصلاة والدرس دون ان يكفَّ عن اصوامهِ وتقشُّفاتهِ

على انَّ السفير الفرنسويّ وجماعتهُ نشروا في الاستانة اخبار حياته العجيبة وسمو فضلهِ وعلومه الكتابيّة فخفَّ الناس لزيارته وكان في جملتهم كثير من علماء اليهود الذين بلغهم ولوعهُ بلغتهم العبرانيّة فدارت بينهم المحاضرات فوجدوهُ متضلّعاً من معارفهم بل حاول مراراً ان يقنعهم بآيات التوراة عن مجي السيّد المسيح فكان يفحمهم . واسعدهُ الحظ بأن يردَّ واحداً من ربَّانيهم الى النصرانيّة فارسلهُ الى فرنسة واوصى بهِ اخاهُ لكي يُعنى بأمر ارشادهِ حتَّى اذا اتقن معرفة الحقائق الدينيَّة يُعمَّد فيكون هو واختهما شاهدَي عمادهِ

وكان إيالة المسلمين والاتراك يحبُّون ايضاً مواجهتهُ لما رأوا من لطفهِ وانعكافهِ على الآداب الشرقيَّة ونالوا لهُ رخصةً لم يسمحوا بها لغيرهِ الَّا نادراً بان يدخل مكتبة سراية السلطان المعدودة في ذلك الوقت من اغنى المكاتب بكنوزها الثمينة

امّا علماء النصارى واكليروسهم كالروم والارمن والعرب فكانوا احرص من سواهم على زيارتهِ ولم يكلّ لسانهم عن مديحهِ وإطراء فضيلتهِ

سفر المسيو دي شطوبل الى لبنان واستعداده للعيشة النسكية

على انّ هذه الاشغال لم تكن لتصرف فكرهُ عن رغبتهِ في العزلة والاختلاء. فاستحرّ بالصلاة ليوحي الله اليهِ بمشيئتهِ ليتمها فشعر بانّهُ تعالى يدعوهُ الى التنسّك في جبل لبنان ليعتزل معاشرة الناس ويتفرّغ لعبادة خالقهِ. فكاشف الاب تاوفيل بما في نفسهِ فتحقّق انّ دعوتهُ من الله. ثم اوقف الكونت دي مرشفيل على نيّتهِ وبعد نيلهِ رضاهُ ودّع كلّ معارفهِ واخصّهم الآباء اليسوعيين المرسلين في الاستانة الذين أبدوا لهُ كلّ لطف وولاء مدّة اقامتهِ في تلك الحاضرة فترك لهم كذكر وداد وعرفان الجميل ثوبين من اثمن ما كان لديهِ من الثياب الواحد من الديباج والآخر من المخمل قدّمهما زينةً لكنيستهم

وفي ٢٦ تموز سنة ١٦٣٢ ركب السفينة مع الاب تاوفيل قاصدين سواحل سوريّة. وفي ٣ آب بلغا رودس واقاما فيها ٢٣ يوماً من دون ان يسمح لهما حاكمها بان يتجولا في أحيائها

ثم استأنفا سيرهما الى صيداء وبلغاها في السادس من ايلول واقاما فيها مدة اربعة ايام كانا فيها موضوع احتفاء واكرام توركيت (Tarquet) قنصل الدولة الافرنسية والتجار الافرنسيين المقيمين هناك الذين اكرموا ضيافته وقدّموا لهُ كل معدّات السفر الى جبل لبنان

فسافر من صيداء في ١١ ايلول بعد ان لبس زي الموارنة ووصل بيروت في اليوم نفسهِ. وفي مساء الغد واصل المسير حتى نهر الكلب حيث بات ليلة في مغارةٍ هناك. وفي ١٥ من الشهر بعد سفر اربعة ايام وصل حصرون فألفى اهلها يتكلمون السريانية لكنه لم يلبث فيها طويلاً رغم رغبتهِ في درس السريانية على خوري القرية الذي كان ماهرًا بهذه اللغة وكان يلحّ على الضيف بالبقاء عندهم فآثر هو الذهاب في الغد الى اهدن ليسترشد باسقفها المطران جرجس عميرة الذي كان اعلم اهل زمانهِ ويقرأ عليهِ اصول اللغة العربية فاحتفى بهِ الاسقف ايّما احتفاء وقبله على الرحب والسعة فاقام عنده اربعين

يوماً اغترف فيها من مناهل معارفه كل ما كان يحتاج اليه ويرغب فيه وكان الاسقف معجباً بهِ واراد ان يمسكه عنده لولا انه نذر ان يعيش في العزلة. وكان يصحبهُ في هذه الزيارة الاب تاوفيل الـذي اكرمه الحبر الماروني وباركهُ وهنّأهُ بكونه دليلًا ومرشدًا لذلك البار رجل الله

وكان هذا الاب يودُّ البقاء قرب صديقه الحبيب وان يكون لـهُ كاتباً لكلّ مـا يصنفهُ من التآليف الكتابية لو لم يكن فرنسيس خصص حياته للصمت والخلوة وعزم ان لا ينشر كتاباته خشية من المَجد الباطل. وعندئذٍ اعرض عن الدنيا وعاش نسياً منسياً. فلما رأى الاب تاوفيل ان لاشغل له عند صديقه. تركه في وحدته وقفل راجعاً الى بلادهِ بعد ان زار القدس مرة ثانية وعثر في طريقهِ على كتب عبرانيّـة ثمينة ارسلها الى دي شسطويل فقبلها كاثمن الهدايا

وما فارقه رفيق سفره حتى طابت له الوحدة في بلاد طالما اشتاق اليهـا فما بلغ هذه الامنية حتى هتف هتاف الفرح: «ها هنا راحتي لانني رضيتها . هنا اغتذي على التقوى ولبن السماء الذي اغتذى به الاباء القديسون من قبلي (له تابع)

مطبوعات شرقيّة جديدة

A. Brassac : Manuel Biblique, T. III, « Les Sts Evangiles.. 15me éd. du *Manuel Vigouroux-Bacuez. pp. IX-733, Paris, Roger et Chernovitz*, 1920

الجزء الثالث من الدستور الكتابي : الاناجيل

بلغ هذا الدستور الكتابي من الرواج ما لم يكن في الحسبان. فهـذه طبعتهُ الخامسة عشرة وهي الرابعة بعد الحرب. ولا عجب فان الـدروس الكتابيّة لا يزال نطاقها في اتّساع لاسيّما الاناجيل المقدّسة التي خُصَّ بها هذا الجزء الثالث وزادهُ حسنًا ان صاحبهُ الكاهن براساك اخرج تأليفهُ على صورة مستجدّة فضمّنهُ خلاصة الابحاث

المنوطة بالانجيل من تاريخ وجغرافية واخلاق وآثار مع حلّ المشاكل التي اشاعها في زماننا الملحدون او الاباحيّون . وغاية تأليفهِ ان يتّخذهُ طلبة الكهنوت كدستور دروسهم وهو يفيد جدًّا الاساتذة عينهم اذ ينهج لهم طريقاً لاحباً لتعليمهم . كما انَّ الكهنة بعد دروسهم يمكنهم ان يرجعوا اليهِ في ارشاداتهم . وخلاصة القول أنّنا نتمنَّى ان يكون هذا الكتاب في ايدي كلّ محبّي الاناجيل ليكون دليلهم الامين . وقد لحظنا انَّ المؤلف مع تحسينهِ لطبعهِ السابقة قد حذف منها نحو مئة صفحة في الطبعة الجديدة رآها نافلةً ولعلّ بعض القرّاء يأسفون على اسقاطها مثلنا لمنافعها وان لم تكن جوهريّة

الاب ي . ديلاّسيغر

G.Schlumberger : Récits de Byzance et des Croisades. *N^elle^ édit., Paris, Librairie Plon, Prix* 6f, 50

طرائف عن بوزنطية والصليبيين

هذا مجموع لطيف لاحد علماء عصرنا الكبار واحد الاختصاصيين بتاريخ بوزنطية والقرون الوسطى لهُ في كليهما مآثر معدودة . امَّا المجموع الحاضر فيشتمل على عدَّة مقالات نشرها المسيو شلومبرجر في المجلاّت والجرائد الفرنسويّة الكبرى فكان لها احسن وَقع في قلوب القرَّاء تفنَّن كاتبها في تصوير احوال الشرق في مواقع مختلفة تارةً مبهجة وتارة مفجعة منها روايات حربيَّة بالغة الحماس ومنها حوادث طليّة رقيقة تمسّ في القلوب الحنان والانعطاف

ج . ل

R. Dufour de la Tuillerie : De Salonique à Constantinople. Souvenirs de la division navale d'Orient 1916-1919. *Un vol., in-16, Paris, de Gigord*

من سالونيك الى الاستانة

حضر صاحب هذا الكتاب مع الحملة الفرنسويّة الى سالونيك في اواسط الحرب الكونيّة فانتهز تلك الفرصة ليدوّن في رسائلهِ الى اصحابهِ ما كان يلحظهُ كلّ يوم من الامور الجزئيّة بالذكر متحاشياً وجهها العسكري . فتراهُ يصف بكل دقّة البلاد التي رآها واخلاق اهلها في دينهم ودنياهم وسائر امورهم فيخرجها بوصفهِ حيّةً قريبة من مرأى القارئ وسماعهِ فهو اشبه بالمصوّر منهُ بالكاتب . وممَّا استحسنَّاهُ وصفهُ

للاستانة يوم دخلها الحلفاء. بعد نهاية الحرب فاجتمع الغالب والمغلوب مع ذكر المؤلفات كانت تلهج بهِ الالسن في تلك الظروف التي قلَّما يرى التاريخ شبهاً بها . وكذلك اجاد في تعريف جبل اثوس واحوال رهبانهِ الذين غالباً ليس يعرفون من الرهبانيَّة الّا الثوب والاسكيم . وقد اثنينا على اعتدالهِ في حكمهِ عن اهل مقدونية المسلمين منهم والنصارى (ص ١١٠). وعلى ظنّنا انَّ هذا الكتاب احد التآليف التي ستصبر على آفات الدهر فيستند اليها الكتبة في المستقبل ج. ل

M. Abadie: Opérations au Levant. Les quatre siéges d'Aïn-Tab. *Vol. in-8, 150 pp., Paris, Charles-Lavauzelle, Prix 5fr*

الحركات العسكريَّة في عينتاب وحصاراتها الاربع

يعرف القرّاء ما جرى للجنود الفرنسويَّة من المناهضات بعد احتلالهم عينتاب في تشرين الاوَّل ١٩١٩ الى يوم تسليمهم المدينة سلماً في شباط ١٩٢١ . فهذه الحوادث الخطيرة التي وقعت في تلك الاثناء. قلّما بلغت تفاصيلها مسامع العموم في فرنسة وفي بلادنا معاً . وقد احبَّ احد شهودها العيانيين أن يدوّنها في هذا الكتاب وهو الكولونل لللازم المسيو أبادي الذي كان متولّياً تدبير السريَّة المدافعة عن ذلك المركز الصعب . فبعد ان وصف المدينة وموقعها الحريز واخلاق اهلها المسلمين والنصارى تتبَّع كلَّ الحركات العسكريَّة التي قام بها الفرنسويُّون للدفاع عن احتلالهم في وجه الاتراك والعرب والكماليين وما أتوهُ من الاعمال الشريفة في عدَّة مواقع حرجة مع ذكر الذين وقعوا في ساحة الشرف. فجاء الكتاب شاهداً جديداً على ما عُرف بهِ الفرنسويُّون من النخوة والشهامة ل. ش

Ed. Le Danois: Le Merlu, résumé pratique de nos connaissances sur ce poisson. *Office scientifique et technique des pêches maritimes, notes et mamoires, n° 2*

سمكة المرلوش

المرلوش من اسماك بحرنا المتوسّط وهي كثيرة في سواحل اسبانية يصطادون منها في السنة نحو مئة الف طنّ. وقد يأتي منهُ الى بحر اليونان فيصطادهُ اهل جزائرهم وهم يدعونهُ «انبا كالاروس». وهذا السمك كثير النهم يقتات بالارنك والاسماك

الصغيرة حتّى من نسلهِ . ولحمهُ لذيذ الطعم فيربح منهُ الصيَّادون مبالغ عظيمة . والمرلوش يعيش في البحار المعتدلة الحرارة في عمق متوسط . ولا نعلم أيعرفهُ اهل سواحل سوريَّة ولعلَّهم يستطيعون اذا وجدوهُ ان يُنموا نسلهُ فيكسبوا من تجارتهِ ج . ل

P. Léon Dauchez: Le Dr Henry Dauchez. Un vol., in-8°: 158 pp., Paris, Gabr. Beauchesne. Prix 4fr

ترجمة الدكتور هنري دوشه

لفرنسة ظلّ ارباب الخير والرجال العظام لاسيَّما الذين رضعوا منذ حداثتهم افاويق التقى في الاسر العريقة بالدين . فمن جملة هؤلاء الكبار طبيب نطاسيّ أسف على فقدانهِ الدين والوطن السنة ١٩١٩ نريد به الدكتور هنري دوشه ربيب مدرسة الآباء اليسوعيين العليا في باريس الذي جمع في حياته بين ارقّ عواطف الدين وارقى المعارف الطبيَّة فأنشأ عدَّة ملاجئ ومستوصفات وتفانى في خدمة البؤوسين والفقراء ونشر التآليف المفيدة ذكرنا منها المشرق (١٥ [١٩١٢]: ٩٠٣) دليلهُ الطبّي . ولم يكن فضلهُ في خدمة الدين والمشروعات الخيريَّة دون فضله في العلم . فكان كمحور لكل مسعًى حسن وكلّ عمل صالح يكفيهِ شرفًا انهُ كان انشط اعضاء جميَّة مار منصور دي پول مدَّة ٤٥ سنة . ومن مساعيهِ المشكورة مناصبتهُ للسُّنيّين استعمال الزواج في تقليل النسل فانشأ لذلك جميَّة طبيَّة تحت شفاعة القديسين الاطباء لوقا وقزما ودميانوس هي اليوم منتشرة في كلّ انحاء فرنسة وفي البلاد الاجنبيَّة . وقد اسعدهُ الله بعائلة وافرة منها ثلثة اولاد انضووا الى الرهبانيَّة اليسوعيَّة اراد احدهم لاون ان يكتب سيرة ابيهِ هذه ليكون لحسن قدوةٍ لاطباء عصرهِ ل . ش

Alma Mater: Collegium de Propaganda Fide, *Roma*. 1919-1922

نشرة المدرسة الاوربانيَّة المعروفة بالروبغندة

ذكرنا في اوَّل مقالة هذا العدد تاريخ هذه المدرسة ومآثرها الجليلة في الثلثمائة السنة التي كادت تمرُّ عليها . وقد احسن رؤساؤها منذ اربع سنوات اذ اخذوا يدوّنون اعمالها قديماً وحديثاً في نشرة سنويَّة ايطاليَّة جامعة لكل محاسن الطبع مع فوائد لا تُحصى عن كلّ امور المدرسة وتاريخها وما ينوط بها من تعليم وتهذيب وآداب اضافوا اليها معلومات شتَّى عن رومية وآثارها وما يجري فيها من الحركة الدينيَّة والعلميَّة .

وقد أطلعنا على اعداد هذه النشرة فوجدناها طرفة تَزدان بها كلّ نوادي العلم والادب
ل٠ش

Antoine Yammine : QUATRE ANS DE MISÈRE. Le Liban et la Syrie pendant la guerre. *Librairie E. Hindié. Le Caire.* 1922. *in-12, pp.* 211. *Prix.* 20 *P. E.*

تاريخ لبنان وسوريّة في اربعة اعوام الحرب

وصفنا سابقاً في المشرق الجزئين المثمين اللذين خصّها حضرة الخوري انطون يمين اللبناني لذكرى الحوادث والمظالم التي حدثت في لبنان مدّة الحرب العموميّة فكان لهما تأثير عظيم في كلّ من أطلع عليهما . وقد طلب من حضرته محبّو وطننا الاجانب ان ينشر هذا التاريخ باللغة الفرنسويّة فاعاد النظر في عمله وحسّنهُ من عدّة وجوه واضاف اليهِ خارطة لبنان مع عدّة تصاوير فجاء اثرًا حيًّا لتلك الأيّام المشؤومة التي عبرت على سوريّة ولبنان لا اعادها الله عليهما أبد الدهر
ل٠ش

L' ISLAM par Ed. Montet. Collection Payot. *Paris*, 1921, *in-* 16. *pp.* 159

الاسلام

حاول المسيو ادوار مونته احد اساتذة جامعة جنيئة ان يصف احوال الاسلام التاريخيّة والدينيّة والعلميّة والفنّية سنتاً وحاضرًا في صفحات قليلة غاية في الوضوح . وكان يودّنا ان نصدّق على ما كتبهُ لكنْ دروسنا الخاصة وما استنتجهُ المستشرقون الوثوق بهم من المجاثهم العميقة لا تسمح لنا بذلك مع ما في الكتاب من الاغلاط التاريخيّة العديدة فضلاً عن سوء رسم الحروف العربيّة فيكتب مثلاً اسم زيد «Seid» وقريش « Koreich » . وربّما حذف من الاعلام اسم الابن فيكتب Nadim و «Mokaffa» بدلًا من Ibn an-Nadim و Ibn al-Moqaffa . ومن اوهامهِ (ص٢٦ و٢٧) انهُ نسب الى الوليد الثاني ويزيد الثاني ما لايصحّ الّا من الوليد الاوّل ويزيد الاوّل . وقد ذكر دون انتقاد (ص٩) ما قالهُ البعض عن الـ٣٦٠ صنماً في الكعبة مع ضيق الكعبة عن احراز قسم صغير من هذا العدد . وزعم (ص٢٨) انّ ابا العبّاس السفّاح حارب الامويين في الخراسان وليس في التاريخ ما يؤيد قولهُ . وجعل هناك

عبدالله بن علي اخاً للسفّاح وهو عمّهُ . وكذلك ليس بصحيح (ص ٣٢) ان آخر الخلفاء في مصر بعد واقعة مرج دابق (Merdj Dabit لا) تنزّل لسلطان الاتراك سليم الاوّل عن حقوقهِ . ولا صحّة كذلك لقولهِ (ص ٦٢) بانّ الخليفة في الاسلام يفصل فصلًا نهائيًا في المعتقدات . وليس الوهابيّون من الاباحيين كما ذكر (ص ٦٢) . ولا يزيد عدد المسلمين في الصين (ص ٩٣) عن عشرة ملايين . ليس كبير امرٍ في الفصل الذي خصّهُ بالآداب العربيّة . وممّا يقال اجمالًا انّ المسيو مونته لم يعرف الاسلام الّا ما بلغهُ عنهُ في بلاد المغرب فيطلق الحكم على بقيّة المسلمين كما وجدهُ في المغرب . فلا بُدّ من اصلاح الكتاب وتحسينهِ

الاب هـ . لامنس

Paul Parmentier. MANUEL D'AGRICULTURE. à l'usage des Cultivateurs Syriens. *Lyon, Audin et* C^ie 1922, *in*-16, *pp.* 166

دستور الزراعة

عرف المسيو هوڤلين (M. Paul Huvelin) احد اصدقاء سوريّة ورئيس البعثة الفرنسويّة اليها انّ مستقبل سوريّة بنجاح زراعتها واستغلال تربتها فتقدّم الى احد الاختصاصيين الذين رافقوهُ في بعثهِ المسيو پرمنتيهِ ان يؤلّف كتاباً فنيّاً وعمليّاً يساعد اهل بلاد الشام في استثمار املاكهم وتحسين الفلاحة والزراعة في اراضيهم . فلبّي دعوتهُ بطيب خاطر ووضع هذا الكتاب على طريقة سهلة مدرسيّة بالسؤال والجواب فاستقرى كل لوازم الزراعة عموميّاً وخصوصيّاً في اثني عشر باباً . وبيّن ما يستطيع اهل سوريّة ان يجتنوهُ من هذه الثروة الطبيعيّة . فنحضّ كلّ من يهمّهُ رقي وطننا العزيز على مطالعة هذا الكتاب ونتمنّى ان يُسرع بعض اهل الهمّة فيعرّبوهُ لئلّا تفوتُ احداً فوائدهُ ونشكر الشكر العميم الذين سعوا بهذا التأليف ل . ش

L'INDICATEUR SYRIEN COMMERCIAL, ADMINISTRATIF, INUSTRIEL, *édité par la* Société Syrienne de Publicité E.G, GÉDÉON, *Beyrouth*, 1^re *année*, 1922, in-4, pp. 317 + ٢٢٦

الدليل السوري

قد احسنت ادارة شركة الاعلانات السوريّة لصاحبها الاديب الياس افندي جرجي جدعون بنشر هذا الدليل الذي كنّا لهُ في حاجة ماسّة . والحقّ يقال انّ الساعين بطبعهِ جمعوا فيهِ من الافادات ما دلّ على نشاطهم وحسن ذوقهم وذلك في قسميهِ الفرنسوي والعربي ولولا ضيق المكان لاثبتنا فهرس مضامينهِ الخاصّة بالانتداب الفرنسوي وادارة

لبنان الكبير وولايتي دمشق وحلب واراضي العلويين وترجمة كبار المتوظفين فيها مع كل المعلومات الخاصّة بالتجارة والصناعة ونُبَذ مختصرة عن مصر والدول الاوربيّة كفرنسة وانكلترة والمانية. ولا عجب ان يكون وقع بهذا المجموع بعض الاغلاط والخلل فأملنا ان يزيده اصحابهُ ضبطاً وإحكاماً في طبعة ثانية. فمما فاتهم تعريف مدرسة الحقوق الفرنسويّة ومدرسة الهندسة مع جدول اساتذتهما. ليس للاتين سوى كنيسة راعويّة واحدة وهي كنيسة الآباء الكبوشيين (ص٧٦). الراهبات اللواتي دعاهن (ص ٧٨) بالمريميّات وبالفرنسويّة (ص 80) «Sœurs de Miriamètre» (كذا !) يُدعون حقيقةً «براهبات قلبي يسوع ومريم». ما هو هذا المكان الذي دعاهُ (ص 179) lieu Zouhal يريد dieu Zouhal وادّعى انَّ منهُ اشتقَّ اسم زحلة. زُحل هو الاله المعروف عند الرومان باسم (Saturne) واشتقاق اسم زحلة منهُ بعيد. لم يبنِ العرب قلعةً (p. 137) في بعلبك وانما حصّنوا بعض جهات هيكلها الشهير. وهناك اشياء كثيرة تحتاج الى تمحيص ل.ش

كتاب الشمس الساطعة في تاريخ الكنيسة الجامعة

تأليف الخوري يوسف حنا عطاالله البيت لحمي الكاثوليكي

بطبعة القديس بولس حريصا (لبنان) سنة ١٩١٢ (ص ٥٠٣)

لا تزال مطبعة الآباء البولسيين الافاضل تتحفنا بمنشوراتها الدينيّة والادبيّة المفيدة. وهذا اثرٌ جديد من همّتها القعساء. ضمّنهُ مؤلفهُ الفاضل الخوري يوسف حنا عطاالله احد المرتدّين عن اوهام الروم الى ساطع انوار الكنيسة الكاثوليكيّة افادةً لابناء جنسهِ ليطلعهم على حقيقة البيعة البطرسيّة وتعاليمها الصادقة ويزيل من اذهانهم ما تخيلوهُ من الشاكل في حقّها. ومن ثمَّ قد بيَّن في كتابهِ هذا علامات الكنيسة الجامعة التي لا تصدق الّا عن الكنيسة الرومانيّة. ثمَّ انتقل الى ذكر تاريخ الشقاق بين الكنيستين الشرقيّة والغربيّة واسبابه. وختم بذكر اخصّ القضايا التي يتشبّث بها الروم للثبات في انفصالهم. وكل ذلك بالادلة الواضحة والبيّنات السديدة. جازى الله كاتبهُ واسرهُ بتقريب القلوب وجمع قطيع المسيح في حظيرة واحدة تحت راعٍ واحد.

يُطلب الكتاب من صاحبهِ ومن المطبعة البولسيّة وثمنهُ لا يتجاوز ٣٠ غرشاً مصرياً ما خلا اجرة البريد

حسناء بيروت

لصاحب الكلام الحي

في مطبعة الآباء البولسيين حريصا لبنان (الطبعة الثانية ١٩٢٢ ص ٣٤٤)

هذا اثر آخر لطبعة الآباء البولسيين ممَّا حرَّرهُ قلم الطيب الذكر منشئ جماعتهم السيّد جرمانوس معقّد فجدّدوا طبعهُ بعد رواج طبعتهِ الاولى. ولا يجهل قرّاؤنا محاسن هذه الرواية التي لم يأنف مؤلفها صرف زمانهِ في تحريرها. فانّها وان كانت خياليّة الّا انّها تمثّل واقعاً تاريخيًّا اخرجهُ السيّد جرمانوس على هذه الصورة لتزيد رغبة القرّاء في مطالعتها. والحقّ يقال انهُ لم يخطئ المرمى وما هذه الطبعة الجديدة الّا دليلًا على استحسان العموم اضامينها المعزّزة للفضيلة والمقبّحة للاثم ل. ش

مطبوعات اخرى أُرسلت الى ادارة المشرق

﴿تاجر البندقيّة﴾ رواية تمثيليّة للروائي الانكليزيّ الشهير شكسبير تُعدّ من ألطف رواياتهِ فكساها جناب شاعرنا خليل المطران ثوباً قشيباً من قلمهِ بنقلها الى العربيّة فطبعتها ادارة الهلال واهدتها الى مشتركيها

﴿الطائفة المارونية﴾ خطابان تاريخيّان اجتماعيّان القاهما صديقنا الشيخ انطون الجميّل في جمعية المساعي الخيريّة المارونيّة بمصر فاجاد وافاد

﴿خلاصة اعمال شركة القديس منصور دي بول في بيروت﴾ للسنين التي مضت عليها منذ الاعلان بالحرب الى اليوم (١٩١٤–١٩٢١) وهذه السنة هي الواحدة والستون لعهد تأسيسها في بيروت. فنشكر لها هديّتها وبها سدّت الخلل الواقع باحتجابها في تلك المدّة. على انّ الله لم ينسَ شيئاً ممّا خفي وتستّر عن الانظار

﴿الزهرة﴾ مجلة ادبيّة روائيّة اخلاقيّة لصاحبها جميل افندي البحري اصدرت عدداً ممتازاً في اول سنتها الثانية دبّج موادّهُ بعض حملة الاقلام في فلسطين

شذرات

—رثاء على قبر الشهداء— روت المشرق ما اصاب اهل عبئل المسيحيين في اوائل شهر أيّار من السنة ١٩٢٠ بوثوب الشيعيين على قريتهم فنهبوا وسلبوا وقتلوا وحرقوا دون سوابق اوجبت تلك المظالم . فلمَّا عاد السلام وكُفَّت ايدي الظالمين جمع النصارى رُفات شهدائهم ووضعوها في قبر عموميّ يقيمون عنده كل سنة تذكاراً لاولئك الضحايا الاشراف . فلمّا عُقدت هذه الحفلة في الشهر المتصرم انشد المعلم ملحم بركات هذه القصيدة يرثي مواطنيه :

الثوا على قبر الشهادة في الحبِّ   وجُودوا بدمع العين مع زَفرة القلبِ
على أعظُم ضمن الضريح تكفَّنت   بقايا جسومٍ غالَها الموتُ في الحربِ
ثَوت في البلى حُباً بخدمة شعبها   لكيما تصون بعِرْض من فتكة الذئبِ
بقلب جريءٍ في القتال تقدَّمت   لدَحْر الاعادي من مُشاةٍ ومن رَكْبِ
فلا السيفُ والبارود أوهن عَزْمها   ولا كثرة الاعدا ولا طنة الغضبِ
وقد رغبت ألَّا تعيشَ ذليلةً   ففضَّلتِ الموت الشريف على السَّلبِ
عليها يحقُّ النَّوح والحق واجبٌ   على معشر السكَّان بالقول والنَّدبِ
فلا تبخلوا بالدمع حتى تبلّلوا   به كل أجناب الضريح من التُّرْبِ
سقتك الغوادي ايها القبر قُبلةً   وشرقاً ومن عطف الشمال ومن غربِ
حويت الذين استشهدوا فيك انهم   قضوا في سبيل المجد قتلى بلا ذنبِ
ضحايا ضلالٍ قد جمعنا رفاتهم   وقد أُودعت في الرمس جنباً الى جنبِ
كأنَّا وفي ذكراهمُ اليوم كلنا   نُقاسي المنى والبين يَنسال بالنحبِ
نُرى اي خطبٍ حل في الناس مثلما   أُصيبت به عبئلُ من حادث النكبِ
هجوم بإطلاق الرصاص فلوعةٌ   فذبحٌ فاحراق تُقارَنُ بالنهبِ
وتشتيتُ شمل الاهل والجوع مُضنك   تجوب اراضي الناس في السهل والصعبِ
مصاب عظيم احرق القلب في الحشا   كصاعقة اهوت على ضئة العشبِ
فلله من نعذيّ الرزيئة انا   لدى ذكرها نزداد خطباً على خطبِ
نظل وجفن العين قرّحه البكا   نئنُّ أنين الحزن من وطأة الكربِ

الى الله امر العالمين فانه يعاقب اشياع السيئين بالشجب

***

فيا انفس أودى الزمان بعزّها فذاقت مرار الموت في طاعة الربِّ
صعدتِ الى دار النعيم بغبطة فمن منزل ضنكٍ الى منزلٍ رحبِ
وسرتِ الى نبع الحياة لتستقي فمن موردٍ مرٍّ الى موردٍ عذبِ
هناكِ ولا قتل هناك ولا شقا ولا شيعةٌ تحتال بالإفك والكذبِ
تضيئين بالانوار في جنة البها لعمري فما نور المجرّة والشُّهبِ
وذكراكِ بين الناس كالنخل زاهر وكالارز في لبنان ينمو مدى الحقبِ
عليكِ سلام الله ما ناح طائر عليك سلام الله في البعد والقربِ

﴿وضع الحجر الاوَّل لمستشفى الطبي الفرنسوي﴾ في ثاني يوم من شهر أيار الماضي جرت حفلة فخيمة قلّما تشاهد بيروت مثلها رونقاً وبهاء . حضرها علية القوم واشراف المدينة ورؤساء جيش الاحتلال البرّي والبحري في مقدّمتهم فخامة مفوّض جمهوريّة فرنسة الاعلى الذي وضع ذلك الحجر بعد ان باركهُ نيافة القاصد الرسولي . وبهِ احرزت فرنسة فضلًا جديداً على بلادنا . امّا المكتب الطبي الفرنسويّ الذي خدم الوطن العزيز مع البلاد الشرقيّة القريبة والبعيدة مدّة ٣٣ سنة بمن تخرّجوا في معاهدهِ من الاطباء النطاسيين والصيادلة البارعين وكاد وقت الحرب يدخل في خبر كان فانّهُ رأى ما انعش آمالهُ وحقّق امانيهُ بوضع الحجر الاوَّل لمستشفى سوف يضاهي بسعتهِ وتجهيز أنديتهِ وكمال اهبتهِ لتوفير عدد مَرضاه ومعالجة اصناف الأدواء اكبرَ المستشفيات الاوربيّة ويكون افضل مساعد لتخريج طلبة المكتب الطبّي . أثاب الله كلّ الساعين بهذا المشروع الجليل

﴿التذكار القرني لجمعيّة راهبات الناصرة﴾ وقع في اليوم الثالث من شهر أيار تذكار السنة المائة الاولى لانشاء جمعيّة راهبات الناصرة اللواتي يتفانين بيننا منذ ٦٧ سنة في تهذيب اوانس البيوتات الشريفة وتربية فتيات العامّة . فغرسنَ في قلوب مئين بل الوف منهنّ اصول الدين والتقى . فأضحين خير ربّات للعيال المسيحيّة وافضل قدوةٍ لبنات جنسهنّ . ففي ختام هذا القرن الاوَّل اقامت الراهبات في ديرهنَّ حفلات دينيّة وادبيّة شائقة تصدّر فيها نيافة القاصد الرسولي الذي شكرهنَّ على ما ادّين

للدين والوطن من الخدم المديدة مع محبتهنّ للتواضع والاختلاء ونفورهنّ من كلّ مجدٍ عالمي لا يطلبن سوى مجد الله وخير القريب على موجب ما ورثن من تعاليم منشئتيهنّ الساميّ القداسة الامّ ورلا والدوقة ده دودڤيل ومرشدهما الأب روجه اليسوعي فاتخذوا لهنّ اسم راهبات الناصرة ليمثّلن في سلوكهنّ كلّ فضائل عائلة يسوع ومريم ويوسف . نضمّ صوتنا الى دعاء الشكر ونطلب الى الله ان يجزل ثوابهنّ في الدارين

﴿المجلس النيابي﴾ دخل لبنان الكبير في طور جديد من حياته السياسيّة منذ تمّت في ٢١ أيار معاملات انتخاب ممثّليه . وقد صار ذلك بنظام وهدوّ عظيمين تقضي منهما العجب اصحاب الانتداب الفرنسوي وبهما استدلّوا على رقيّ اهل الوطن الذين عرفوا ما لهم من الواجبات والحقوق فجروا بموجبها دون ارتياب . وقد بلغ عدد المنتخبين ثلثين مندوباً : ١٠ موارنة و ٦ مسلمون سنّيون و ٥ شيعيّون و ٤ روم اورثذكس و ٢ روم كاثوليك و ٢ دروز و ١ عن الاقليّات . وقد خطب فيهم فخامة المفوّض السامي منبئاً عن ارتياحه لاختيارهم ومنفصلاً ما لهم من السلطة في تدبير الامور وما تؤمّله الدولة الفرنسويّة من حسن نظرهم . وكان اجتماعهم للمرّة الاولى يوم عيد الصعود في ٢٥ من الشهر فاختاروا رئيساً للمجلس عطوفة حبيب باشا السعد . وفي ٣٠ منه عُقدت الجلسة الاولى لمباشرة اشغالهم . فنتمنّى للوطن رقيّاً ونجاحاً في مدّة نيابتهم

﴿احصاء الهند الاخير﴾ تمّ هذا الاحصاء في اواسط شهر حزيران من السنة الماضية فبلغ مجموع سكّان الهند نيفاً وثلثمائة وتسعة عشر مليوناً . الوثنيّون منهم نحو ٢١٠،٠٠٠،٠٠٠ يقسمون الى عدّة اقسام اخصّهم البرهمانيّون ثم البوذيّون ثم الجينيّون ثم عَبَدة النار والمجوس الفرس . ويبلغ المسلمون في الهند بين ٦٠ الى ٧٠ مليوناً معظمهم في ولايات بنغال وبنجاب وبباي قسم منهم من اهل الشيعة . امّا النصارى فثلثة ملايين مليونان منهم كاثوليك والباقون من الشيع البروتستانية . ومن غريب ما تحقّقوه في الاحصاء الاخير انّ عدد الاناث في الهند ينيف على الذكور بأزيد من تسعة ملايين نفس . واللغات الشائعة في الهند تبلغ نحو ١٥٠ لغةً واكثرها شيوعاً اللغات الهندو اوربية وهي ٢٢ لغة يتكلم بها ٢٣٠ مليوناً من اهل الهند . ويدخل في هذا القسم

اللغات الشائعة في شمالي الهند اخصّها الهندستانيّة والمراطيّة والبنغاليّة والقوجراتيّة والبنجابيّة تشتقّ من لغات ثلث كانت اقدم لغات الهند وسبقت تاريخ الميلاد بعدة اجيال وأبقت للبراهمة آثارًا متعددة وهي السنسكريتيّة والباليّة والبراكريتيّة وكلّها ترتقي الى اصل واحد تقدَّم على زمن التاريخ. امّا الهند الجنوبيّة فالشائع عندها قسم اللغات المعروفة بالدراڤيديّة التي يتكلّم بها ٦٢ مليونًا من اهل الهند وهي تشمل اربع عشرة لغة اخصّها التامول والتلوغو والملايالام والكناريز. فالحكومة البريطانيّة فتحت في لندن مكاتب لدرس هذه اللغات يتردّد اليها المترشحون لادارتها في الهند

﴿الحقوق الاسلاميّة والفرنج﴾ قرأنا في الجزء الرابع من المجلّد الثاني من مجلة المجمع العلمي العربيّ (نيسان ١٩٢٢) مقالة مطوّلة للشيخ سعيد مراد الغزّي ورد في فصلها الاخير عدّة اقاويل عن نقل الفرنج للشرائع الاسلاميّة وترويجها بينهم تحت اسم الشرائع الرومانيّة او القانون المدني وقد استند في اثبات قولهِ الى بعض المحدثين الذين رموا الكلام على عواهنهِ كالاسفرنكاني والمؤرخ موسهيم. وذكر هناك اسماء كهربوت والبرت ممّا لم يذكر شيئًا من تآريخهم لنتحقق صحة قولهِ. فيا ليت الشيخ يأتينا بنصّ قديم صريح يفيدنا عمّا بحثنا عنهُ زمنًا طويلًا دون الوقوف على اثر منهُ. امّا الحبر الروماني سلفستر الثاني فقد بيّنا في المشرق (١٥ [١٩١٢] : ٣٩٩) انّ علاقاته مع العرب احدى الخرافات التي اشاعها بعض المحدثين بلا سند. وغاية ما نعلم عمّا استفادهُ الفرنج من العرب بضعة تآليف طبيّة وفلسفيّة وعلميّة نقلها الى اللاتينيّة بعض اليهود والفرنج الذين برعوا في العربيّة ولعلّنا نكتب في ذلك مقالة واسعة. امّا الفقه الاسلاميّ فلم نجد احدًا من القدماء نقل شيئًا منهُ

﴿الانوار الماسونيّة﴾ لا يزال الاخ ه. يوسف الحاج يكتصر للشيعة فعلهُ يلعب بسيفهِ الماسونيّ لعب الوليد الذي يجرح نفسهُ وهو يظنّ انّ ضرباتهِ قاضية على من يناطحهُ. وقد قرأنا ما نشرهُ آخرًا عن استنطاق ماسوني فهو افضل فصلٍ للروايات الهزليّة على المسارح فان اراد ارباب المدارس ان يفكّهوا تلامذتهم فما لهم الّا ان يتلوا هذه الطُرَف المضحكة الغالبة على روايات موليار وسخافات جحى. فياليت الفرمسون يكتفون في اجتماعاتهم السرّيّة بمثل هذه الخزعبلات ونعلم ان وراء الاكمة ما يعرفون

أسئلة وأجوبة

س سأل من البلك اسعد افندي نصرالله : ١ً ما معنى آية سفر التكوين (٣ : ٢٢) : «قال الرب الاله هوذا آدم قد صار كواحد منّا يعرف الخير والشرّ» أترى كان يجهل ذلك قبل خطيئته ؟ . ٢ً كيف يُعلَّل طول حياة الآباء الاوّلين الذين بلغ بعضهم ٩٠٠ سنة أكان ذلك معجزةً ؟ . ٣ً ما معنى قوله تعالى لنوح (تك ٩ : ٥) : «أنا دماؤكم فاطلبها من يد كلّ وحشٍ طلبها» ومعلوم انّ الوحش لا يقترف ذنباً باقتراس الانسان وهو يصنع على حسب غريزته . ٤ً كيف التوفيق بين سفر التكوين (ف١٢) حيث يقال انّ الله دعا ابرهيم «بعد ما سكن حرّان» وسفر الاعمال (٧ : ٢) القائل انّ الله دعاهُ وهو في ما بين النهرين «من قبل ان اقام بحرّان» . ٥ً هل تحسب النفس اقنوماً كاملًا بعد انفصالها من الجسد . وان امكنها ان تقوم بذاتها فا الحاجة الى قيامة الجسد . وقد قرأت في بعض تآليف الكاثوليك انهم لم يتّفقوا على اثبات صحّة القيامة

شرح آيات كتابيّة

ج نجيب على (الاوّل) : ان كلام الله في هذا المكان تهكّم . كأنهُ يقول لآدم وحوّاء ها قد صحّ فيكما وعد الحيّة اي الشيطان لمّا اخدعتما بقوله لكما (تك ٣ : ٤–٥) : «لن تموتا لأنّ الله عالم انكما يوم تأكلان منهُ تنفتح اعينكما وتصيران كآلهة عارفين الخير والشرّ» . فنعمَ المعرفة معرفتكما اذ عرفتما الشرّ فعلًا وما كفاكما معرفتهُ نظريّاً . ٢ً نجيب عن (الثاني) انّ هذا المشكل قد بحث فيهِ الطبيب الذكر الخوري يوسف العلم في المشرق (٤[١٩٠١] : ١٥١–١٥٤) في مقالتهِ عن أعمار الآباء الاوّلين . فلتراجع . ٣ً نجيب عن (الثالث) انّ الله تحذيرًا للبشر من سفك دماء ذوي جنسهم اراد ايضاً ان الحيوانات العُجم اذا قتلت انساناً تُقتَل هي ايضاً . كما ورد في سفر الخروج (٢١ : ٢٨) عن الثور الذي ينطح انساناً فيقتلهُ فان الله امر موسى بان يُرجَم الثور ولا يؤكَل من لحمهِ . نجيب على (الرابع) انّ الله دعا ابراهيم دعوتين دعوةً اولى في اور الكلدانيين فاخرجهُ مع اسرتهِ فسار الى حرّان . ثمّ دعاهُ في حرّان دعوةً ثانية الى ارض فلسطين . وبذلك يظهر التوفيق بين سفر التكوين وسفر الاعمال . نجيب على (الخامس) انّ النفس وحدها لا تُدعى اقنوماً اذ خُلقت لتعيش في الجسد وتأخذ معلوماتها من الحواسّ طالما هي على الارض . لكنّها قادرة لبساطتها وخلودها ان تقوم بذاتها فتستقي معلوماتها بالفكر والصور العقليّة . لكنّ تلك الحالة موقّتة الى يوم القيامة